بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

سلسلة التربية الإسلامية

(٤)

الإنسان محور التربية

مجموعة أحاديث

إعداد

الدكتور / حسن بن علي الحجاجي

مدير عام

فرع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

بمنطقة مكة المكرمة

ربيع الثاني عام ١٤٢٣هـ

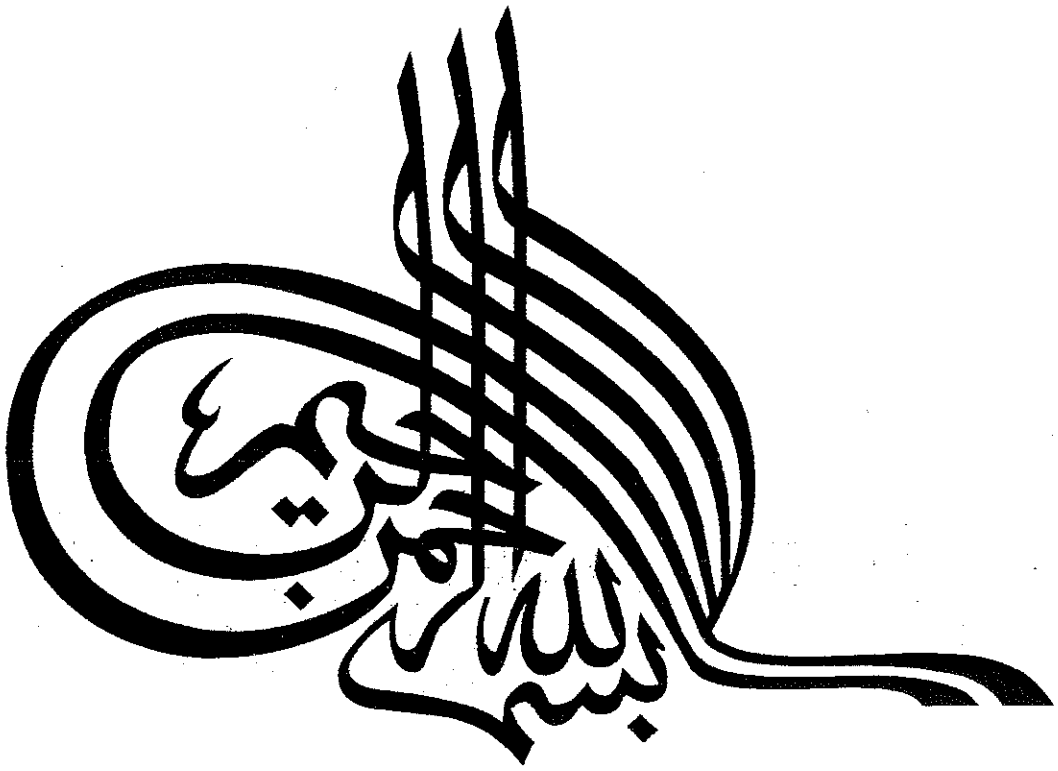
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد :

فإن الإنسان هو محور التربية بعقله وروحه وبدنه ولقد تميزت التربية الإسلامية عن غيرها باهتمامها بهذا الإنسان بجميع جوانبه فحققت بذلك التوازن والشمول في حياته كما أنها اهتمت به قبل تكوينه وبعد أن أصبح جنيناً وبعد أن خرج إلى هذه الحياة وسايرت حياته وتدرجت به من طور إلى طور من مرحلة إلى أخرى وأوضحت له حقوقه وواجباته وسارت به في دنياه حتى وضع عصا الترحال في حياة البرزخ وما بعدها.

إن هذا الكتاب هو عبارة عن مجموعة من الحلقات الإذاعية ألقيت في إذاعة القرآن الكريم في المملكة العربية السعودية تحت مسمى " من معين التربية الإسلامية " وقد رأيت من المصلحة طبعها تحت سلسلة التربية الإسلامية فهذا هو الكتاب الرابع منها راجياً المولى القدير أن ينفع به كاتبه ومماليه وقارئه والمطلع عليه .

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى .

المؤلف

حسن بن علي الحجـــاجي

١- غاية خلق الإنسان :-

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .. وبعد .

إن محور التربية الإسلامية هو هذا الإنسان ، فهل له غاية ؟ وما هي هذه الغاية ؟ نعم . إن الغاية من خلق الإنسان هي تحقيق العبودية لله . فالتربية السليمة هي التي ترعى هذا الإنسان وتنشئه تنشئة تجعله محققاً الغاية من خلقه قال تعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) وحتى تتحقق العبادة على وجهها الصحيح لابد من معرفة الإله المعبود الخالق الرازق المدبر ، فإن معرفة الله وحده وعبوديته وحده والإنابة إليه والتوكل عليه وإخلاص العمل له ، ومحبته والرضا به ، والقيام في خدمته هو الغاية التي خلق لها الخلق وثبت لها الأمر وذلك أمر مقصود لنفسه ، والعبادة لا تصل إلى الكمال والتمام إلا بكمال الحب له سبحانه مع كمال الخضوع والذل له ، وهذا الكمال يقتضي امتثال الأمر والنهي والرضا والتسليم بالقضاء والقدر والإيمان بالثواب والعقاب وكمال المحبة لله والمحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحصل إلا أن يكون حبهما مقدم على غيرهما ، بل يكون حب المرء كله لهما ، كما جاء في الحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم : " لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما " .

إذا كانت الغاية من خلق الإنسان هي عبادة الله ، فما هي العبادة المقصودة بحديثنا هذا ؟ هل هي الشعائر التعبدية والتي منها الصلاة والزكاة والصوم ، أم أنها أعم من هذا وأشمل ؟ والجواب على هذا أن العبادة لا تنحصر في الشعائر التعبدية بل تشمل كل حركة وسكون وفعل وقول يصدر من هذا الإنسان ، لكن الشعائر التعبدية

هي قمة هذه العبادة : (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) ويعرف ابن تيمية العبادة : بأنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، ويقول ابن القيم في معرض توضيحه لأصول العبادة وتأكيده على أصلين تُبنى عليهما هذه العبادة ألا وهما غاية الحب مع غاية الذل والخضوع ، والعرب تقول طريق معبد أي مذلل ، والتعبد التذلل والخضوع ، فمن أحببته ولم تكن خاضعاً له لم تكن عابداً له ، ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابداً له حتى تكون محباً خاضعاً ، وأكمل الخلق عبودية أكملهم ذلاً لله ، وانقياداً وطاعة ، والعبد ذليل لمولاه الحق بكل وجه من وجوه الذل ، فهو ذليل لعزه ، وذليل لقهره ، وذليل لربوبيته فيه وتصرفه فيه ، وذليل لإحسانه إليه وإنعامه عليه ، فإن من أحسن إليك فقد استعبدك وصار قلبك معبداً له وذليلاً . وهناك نوعان من أنواع التذلل والتعبد لهما أثر عجيب يقتضيان من صاحبهما من الطاعة والفوز ما لا يقتضيه غيرهما ، أحدهما ذل المحبة ، وهو خاصة المحبة ولبها ، بل روحها وقوامها ، وحقيقتها وهو المراد على الحقيقة من العبد لو فطن لذلك ، وهذا يستخرج من قلب المحب من أنواع التقرب والتودد والتملق والإيثار والرضى والحمد والشكر والصبر والتندم ، وتحمل العظائم ما لا يستخرجه الخوف وحده ولا الرجاء وحده ، فإن المحبة تستخرج من القلب من أنواع الطاعات ما لا يستخرجه الخوف ، وهذا ذل المحبين ، والثاني من أنواع الذل ذل المعصية .. يقول ابن القيم فتأمل الآن موقع الكسرة التي حصلت له بالمعصية .. كيف جاءت فمحقت من نفسه الدعاوى والرعونات وأنواع الأماني الباطلة ، ثم أوجبت له الحياء والخجل من سوء ما عمل ، ثم أوجبت له استكثار قليل ما يرد عليه من ربه لعلمه بأن قدره أصغر من ذلك

وأنه لا يستحقه ، واستقلال أمثال الجبال من عمله الصالح ، فإن سيئاته وذنوبه تحتاج من المكفرات والماحيات إلى أعظم من هذا ، فهو لا يزال محسناً وعند نفسه المسيء المذنب منكسراً ذليلاً خاضعاً لا يرتفع له رأس ولا يقام له صدر ، وإنما ساقه إلى هذا الذل والذي أورثه إياه مباشرة الذنب ، فأي شيء أنفع له من هذا الدواء ؟ وهذا يحصل إذا تاب العبد من الذنب وأناب إلى الله ، واستغفر وكل مسلم بحاجة إلى هذا وقد أرشدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى التوبة إلى الله وإلى الاستغفار فقال صلى الله عليه وسلم : " إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة " وصيغة هذا أن يقول العبد : اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك ، وإنه لأمر ميسر وسهل لمن يسره الله إليه ، فإذا كان المصطفى صلى الله عليه وسلم المعصوم من الذنب يستغفر الله ويتوب إليه أكثر من سبعين مرة ، فحري بغيره أن يكثر من الاستغفار والتوبة والإنابة ، وعلى الآباء والأمهات والمربين أن يعطوا القدوة من أنفسهم لأبنائهم ويعلمونهم بلسان حالهم قبل لسان مقالهم ويوجهونهم إلى التوبة والاستغفار ويبينون لهم أهمية الطاعة والعبادة وخطر الذنب والمعصية ولا يغفلون أو يتغافلون عن تربيتهم لأنهم إن فعلوا ذلك بحث الناشئ عمن يقتدي به ويحاكيه ويقلده ممن هو أكبر منه سناً ، فحين ما يلتقي بأصناف من البشر ، لا يظهر عليهم خلق الإسلام ولا سمت هذا الدين ، فإنها تقع الكارثة وتحصل المصيبة وينحرف الناشئ في فكره وسلوكه ، فيشقى بذلك في الدنيا والآخرة ، فهل نعي مسؤوليتنا ؟ ونؤدي رسالتنا على الوجه الأكمل والأتم ؟ نرجو الإعانة والتوفيق على ذلك .

إن العبودية لها مراتب ودرجات بعضها أعلى من بعض وهي موزعة على القلب واللسان والبدن ، يقول ابن القيم في كتابه مدارج السالكين : فرض العبودية على خمس عشرة قاعدة من كملها كمل مراتب العبودية وبيانها أن العبودية منقسمة على القلب واللسان والجوارح وعلى كل منها عبودية تخصه ، والأحكام التي للعبودية خمسة : واجب ومستحب وحرام ومكروه ومباح ، وهي لكل واحد من القلب واللسان والجوارح ، وهذا يقتضي من كل مسلم أن يحفظ لسانه وقلبه وجوارحه من الوقوع في الحرام ويسخر جميع هذه القوى لطاعة الله وعبادته .

أعاننا الله وإياكم على هذا وحمانا من نزغات الهوى والشيطان والنفس الأمارة بالسوء . إنه ولي ذلك والقادر عليه .

٢ـ معرفة العبد لربه :-

الحمد لله المنعم المتفضل ، خلق فسوى وقدر فهدى ، خلق الإنسان علمه البيان ، بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، أحمده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه والصلاة والسلام على الرحمة المهداة ، الهادي البشير والسراج المنير وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه والتابعين .. وبعد .

فإن الله عز وجل خلق هذا الإنسان وفضله وكرمه وحباه من نعمه ما جعله خليفة له في أرضه وزوده بقوى عقلية وإرادات وانفعالات تعينه في السير على الطريق المستقيم فقد جعل لكل إنسان قوتين قوة عملية نظرية كما يقول ابن القيم رحمه الله وقوة عملية إرادية ، وسعادته التامة موقوفة على استكمال قوتيه العلمية والإرادية واستكمال القوة العلمية إنما يكون بمعرفة فاطره وبارئه ومعرفة أسمائه وصفاته ومعرفة الطرق التي توصل إليه ومعرفة آفاتها ومعرفة نفسه ومعرفة عيوبها .

فبهذه المعارف الخمسة يحصل كمال قوته العلمية ، وأعلم الناس أعرفهم بها وأفقههم فيها ، واستكمال القوة العملية الإرادية لا تحصل إلا بمراعاة حقوقه سبحانه وتعالى على العبد والقيام بها إخلاصاً وصدقاً ونصحاً وإحساناً ومتابعة وشهوداً لمنته عليه وتقصيره هو في أداء حقه فهو مستحي من مواجهته بتلك الخدمة لعلمه أنها دون ما يستحقه عليه ودون ذلك ، وأنه لا سبيل له لاستكمال هاتين القوتين إلا بمعونته فهو مضطر إلى أن يهديه الصراط المستقيم الذي هدى إليه أولياءه وخاصته وأن يجنبه الخروج عن ذلك الصراط إما بفساد بقوته العلمية فيقع في الضلال وإما بفساد في قوته العملية فيوجب له الغضب .

فكمال الإنسان وسعادته لا تتم إلا بمجموع هذه الأمور وقد تضمنتها سورة الفاتحة وانتظمتها أكمل انتظام فإن قوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ، يتضمن الأصل الأول وهو معرفة الرب تعالى ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله ، والأسماء المذكورة في هذه السورة هي أصول الأسماء الحسنى وهي اسم الله والرب والرحمن . فاسم الله متضمن لصفات الألوهية واسم الرب متضمن لصفات الربوبية واسم الرحمن متضمن لصفات الإحسان والجود والبر ومعاني أسمائه تدور على هذا . وقوله (إياك نعبد وإياك نستعين) معرفة الطرق الموصلة إليه وأنها ليست إلا عبادته بما يحبه ويرضاه واستعانته على عبادته ، وقوله (اهدنا الصراط المستقيم) يتضمن بيان أن العبد لا سبيل له إلى سعادته إلا باستقامته على الصراط المستقيم ، وأنه لا سبيل له إلى الاستقامة إلا بهداية ربه له كما لا سبيل له إلى عبادته إلا بمعرفته فلا سبيل له إلى الاستقامة على الصراط إلا بهدايته .

وقوله (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) يتضمن بيان طرق الانحراف عن الصراط المستقيم ، وأن الانحراف إلى أحد الطرفين انحراف إلى الضلال الذي هو فساد العلم والاعتقاد والعمل ، فأول السورة رحمة وأوسطها هداية ، وآخرها نعمة ، وحظ العبد من النعمة على قدر حظه من الهداية ، وحظه منها على قدرة حظه من الرحمة فعاد الأمر كله إلى نعمته ورحمته ، والنعمة والرحمة من لوازم ربوبيته فلا يكون إلا رحيماً منعماً وذلك من موجبات الإلهية فهو الإله الحق وإن جحده الجاحدون وعدل به المشركون .

فمن تحقق بمعاني الفاتحة علماً ومعرفة وعملاً وحالاً فقد فاز من كماله بأوفر نصيب وصارت عبوديته عبودية الخاصة الذين ارتفعت درجتهم عن عوام المتعبدين .

ويضيف رحمه الله بيان الطريق إلى التعرف على الله عز وجل وأن ذلك من طريقين أحدهما النظر إلى مفعولاته ، والثاني التفكر في آياته وتدبرها فتلك آياته المشهودة وهذه آياته المسموعة المعقولة ، فالنوع الأول كقوله تعالى : (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ...) إلى آخر الآية .. وقوله تعالى : (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب) والآيات من هذا القبيل كثيرة في القرآن . والثاني كقوله تعالى : (أفلا يتدبرون القرآن) وقوله تعالى : (أفلم يدبروا القول) وقوله تعالى : (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته) وهو كثير أيضاً فالمفعولات دالة على الأفعال والأفعال دالة على الصفات فإن المفعول يدل على فاعل فعله وذلك يستلزم وجوده وقدرته ومشيئته وعلمه لاستحالة صدور الفعل الاختياري من معدوم أو موجود لا قدرة له ولا حياة ولا علم ولا إرادة . ثم ما في المفعولات من التخصيصات المتنوعة دالة على إرادة الفاعل ، وإن فعله ليس بالطبع بحيث يكون واحداً غير متكرر وما فيها من المصالح والحكم والغايات المحمودة دال على حكمته تعالى . وما فيها من النفع والإحسان والخير دال على رحمته . وما فيها من البطش والانتقام والعقوبة دال على غضبه وما فيها من الإكرام والتقريب والعناية دال على محبته وما فيها من الإهانة والإبعاد والخذلان دال على بغضه ومقته ... انتهى كلامه .

إلى غير ذلك من الأدلة التي تدل العبد وتعرفه بربه سبحانه وتعالى . فحري بالعاقل أن يوجه قوتيه العلمية والعملية إلى معرفة خالقه حق المعرفة وعبادته سبحانه وتعالى . وعليه أن يشكره على جميع نعمه وهي كثيرة ومتعددة (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) ومن أهمها نعمة الهداية والتوفيق . الحمد الله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

ومن المعلوم أن الله عز وجل غني عن عبادتنا لا تنفعه طاعة المطيع ولا تضره معصية العاصي ، بل إن العبد هو الذي ينفع نفسه بالطاعة ويسعدها بالرضا إلى جنابه والاطمئنان إلى كنفه كما إنه هو الذي يضرها بمعصيته والابتعاد عن طاعته : (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) اللهم إنا نسألك الهداية والتوفيق والسداد والثبات على طريق الخير والصلاح والابتعاد عن طريق الغواية والضلال والغضب إنك ولي ذلك والقادر عليه .

٣- الفطرة والتربية :-

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كل مولود يولد على الفطرة " فما هي الفطرة ؟ وما هو مفهومها في اللغة والاصطلاح ؟ وما هو دور التربية تجاه الفطرة ؟

وغاية التربية الإسلامية أنها تعبيد هذا الإنسان لخالقه وهذه التربية تتكون من عناصر كما يقول أستاذنا الأستاذ عبد الرحمن الباني حفظه الله :

أولها : المحافظة على فطرة الناشئة ورعايتها .

وثانيها : تنمية مواهب الناشئ واستعداداته كلها وهي كثيرة ومتنوعة .

وثالثها : توجيه هذه الفطرة وهذه المواهب نحو صلاحها وكمالها اللائق بها ، وكمال كل شيء بحسبها .

ورابعها : التدرج في عملية التربية ، مراعاةً لنمو الناشئ وقدراته العقلية ، وفيما يتعلق بالفطرة تأتي في اللغة بمعنى الخليقة ، قال تعالى : (فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) . (الروم : آية ٣٠)

ومما ينبغي معرفته أن الطفل وإن ولد على الفطرة لكنه لا يعلم ولا يعرف تفاصيل الدين وهذا مما يوجب على الأبوين توجيه هذه الفطرة إلى الطريق السوي يقول ابن القيم : إنه مما ينبغي أن يعلم أنه إذا قيل أنه ولد على الفطرة أو على الإسلام أو على هذه الملة أو خلق حنيفياً ، فليس المراد به أنه حين خرج للحياة من بطن أمه أنه يعلم هذا الدين ويريده ، فإن الله يقول : (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً) ... الآية

، ولكن فطرته موجبة مقتضية لدين الإسلام ، فنفس الفطرة تستلزم الإقرار بخالقه ومحبته وإخلاص الدين له ، وموجبات الفطرة ومقتضياتها تحصل شيئاً بعد شيء بحسب كمال الفطرة إذا سلمت من المعارض] .. انتهى كلامه رحمه الله .

وهذا يدل على تأثر الفطرة بنوع التربية التي يتلقاها هذا الإنسان ، فإن كانت هذه التربية بُنيت على أسس سليمة من هدي هذا الدين ، استقامت الفطرة وتوجهت إلى الخير والصلاح أما إن كانت هذه التربية منحرفة فإنها أي الفطرة تنحرف بانحرافها إن ابن القيم رحمة الله عليه يرى أن الله تعالى خلق عباده حنفاء – وهي فطرت الله التي فطر الناس عليها – فلو خُلّو وفطرهم لما نشئوا إلا على التوحيد ، ولكن عرض لأكثر الفطر ما غيّرها . وهذا العارض هو التربية التي ليست من عند الخبير العليم ، بل هي من وضع البشر فظهر فيها نقصهم وقصورهم ، ومما يجدر ذكره أن للخلطة السيئة تأثيراً سيئاً على الفطرة ، فكم قد غيرت الشياطين من الإنس والجن من فطر وعقول ، فانحرفت بها إلى الضلال والهاوية وهذا مما يؤكد على وجوب تجنيب الناشئ هذه الخلطة وهؤلاء الشياطين الذين يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ، والمسؤولية في ذلك تقع على كاهل الآباء والمربين .

إن الفطرة السوية والعقل السليم يستحسنان الحسن ويستقبحان القبيح وهما في ذلك لا يختلفان مع الشرع المنزل ، يقول المربي ابن القيم " شهدت الفطرة والعقول بأن للعالم رباً قادراً حليماً عليماً رحيماً كاملاً في ذاته وصفاته لا يكون إلا مريداً للخير لعباده مجرياً لهم على الشريعة والسنة الفاضلة العائدة باستصلاحهم الموافقة لما ركب في

عقولهم من استحسان الحسن واستقباح القبيح ، وما جبل طباعهم عليه من إيثار النافع لهم المصلح لشأنهم وترك الضار المفسد لهم " .

كما يرى أن الإنسان السوي صاحب الفطرة السليمة يقر ويعترف أنه مخلوق مربوب وأن له خالقاً عليماً وربا رحيماً ، وأن له عليه واجب العبادة والشكر ، ولقد أوضح ذلك رحمه الله عند شرحه لقول الله عز وجل : (وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون) فقال : " تأمل هذا الخطاب كيف تجد تحته أشرف معنى وأجله وهو أن كونه سبحانه فاطراً لعباده يقتضي عبادتهم له ، وأن من كان مفطوراً مخلوقاً فحقيق به أن يعبد خالقه وفاطره ، ولاسيما إذا كان مرده إليه فمبدأه منه ومصيره إليه ، وهذا يوجب عليه التفرغ لعبادته " .

إن هذا التوجيه من هذا المربي السلفي يؤكد ما ذكرنا من أن غاية التربية تحقيق معنى العبودية لله عز وجل ، حيث قال الحق سبحانه وتعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) ... الآية .

فالإنسان فطره الله على أن يكون عابداً فإما إن يعبد الله خالقه وربه وإما أن يعبد هواه والشيطان ، قال تعالى : (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) [٢٣٠- الجاثية] ، وقال صلى الله عليه وسلم : " تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم ... الحديث " فيتضح من الحديث أن الدينار قد يستعبد الإنسان عندما يصبح هذا الإنسان ويمسي لا هم له ولا شاغل يشغله إلا جمع الدينار والدرهم بجميع الطرق والوسائل ، فلا يصبح

عند هذا الإنسان للقيم والأخلاق والدين مكانة في نفسه ولا متسع من وقته ، فيستحق حينئذ الوعيد الذي جاء في حقه من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتعاسة والشقاء .

فينبغي على الإنسان أن يتوجه إلى الله بالطاعة وإخلاص العبادة له وطاعة أمره واجتناب معصيته وتوجيه من تحت يده إلى ذلك ، وأن يتذكر على الدوام قول الله عز وجل : (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً) .

وفق الله الجميع لطاعته واجتناب معصيته ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

٤- التوازن بين عناصر تكوين الإنسان :-

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد .

إن الإنسان مركب من روح وعقل وبدن ولقد اهتم الإسلام بتربية هذا الإنسان من جميع جوانبه الروحية والفكرية والبدنية ففيما يتعلق بالبدن فهو الوعاء للروح والعقل لذا جاءت الرعاية به في الإسلام ، لأن في المحافظة على صحته عوناً على طاعة الله ، وأداء للواجبات ، وقد جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير " رواه أحمد في مسنده والقوة هنا تشمل قوة الإيمان وقوة الإرادة وقوة البدن ، فحتى يحافظ البدن على سلامته لابد من الاهتمام بغذائه ومسكنه وملبسه ومعالجته ، وللبدن ثلاث حالات كما يقول ابن القيم حالة يكون البدن فيها صحيحاً وأخرى يكون فيها مريضاً وثالثة وسط بينهما ، فالحالة الأولى تستوجب العلاج والعلاج لا يتنافى مع التوكل على الله ، فحقيقة التوحيد لا تتم إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدراً وشرعاً ، وإن طب الأبدان ثلاثة حفظ الصحة والحمية من كل مؤذ واستخراج المواد الفاسدة أما بالنسبة لغذاء البدن لابد من مراعاة أن يكون الغذاء ذا فائدة سواء فيما يتعلق في كمية الغذاء أو نوعيته قال تعالى : (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) ، يقول ابن القيم في تفسير هذه الآية فأرشد الله عباده إدخال ما يقيم البدن من الطعام والشراب عوض ما تحلل منه وأن يكون بقدر ما ينتفع به البدن في الكمية والكيفية ، فمتى جاوز ذلك كان إسرافا وكلاهما مانع من الصحة جالب للمرض أعنى عدم الأكل والشرب أو الإسراف فيه أما

فبما يتعلق بكمية الغذاء . فحتى النوع الجيد من الغذاء إذا حصل الإفراط فيه فإن البدن يكون عرضة للأمراض المستعصية والأدواء الفتاكة يقول رحمه الله ومرتبة الغذاء ثلاثة أحدها مرتبة الحاجة والثانية مرتبة الكفاية والثالثة مرتبة الفضلة ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يكفيه لقيمات يقمن صلبه فلا تسقط قوته ولا تضعف معها فإن تجاوزها ، فليأكل في ثلث بطنه ويدع الثلث الأخر للماء والثلث للنفس وهذا من أنفع ما للبدن والقلب) .

لقد وجه الإسلام المؤمن إلى كل خير وحذره من كل شر ومن الأمور التي أهتم بها الإسلام قضية الطعام الذي يتقوى به بدن المؤمن وحتى يكون هذا الطعام مستكملا للفوائد لابد من أن يذكر اسم الله في أوله ويحمده في آخره وأن تكثر عليه الأيدي وأن يكون من حلٍ فغذاء البدن له علاقة بالجانب العبادي فقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك ، فأكل الحرام يحرم العبد من استجابة الدعاء كما أن من أكل الحرام وتربي بدنه منه فالنار مصيره كما قال صلى الله عليه وسلم : " كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به " فليحذر المؤمن من أكل الحرام وليحرص على أن يكون مطعمه ومشربه حلالاً وليحذر من الشيطان الذي يزين له أكل الحرام ويرغبه فيه . وحتى السكن لابد من مراعاة مواصفات صحية فيه ليؤدي دوراً في صحة البدن وسلامته . فتهوية السكن وسعته وجودة إضاءته كلها أمور مطلوبة في السكن الصحي المريح . فهذه أمور إذا أهملت تضررت صحة الأبدان وسلامة الأجساد ، وكذلك في تدبير أمر البدن لابد من مراعاة ملبسه ، فللشتاء وشدة البرد ملابس

خاصة ، كما أن للصيف وشدة الحر ملابس خاصة ملائمة ، فمن لبس ملابس الصيف في البرد القارص أضر بصحته والعكس صحيح . وهذه الأبدان معرضة للأمراض ، فإذا مرض البدن فلابد من معالجته ، : " فما أنزل الله داء إلا وأنزل له دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله " كما جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وللعلاج كما يقول ابن القيم مراتب أولها العلاج بالأغذية وهو أفضل من العلاج بالأدوية ، وثانيها العلاج بالدواء البسيط ، والعلاج به أفضل من العلاج بالأدوية المركبة ، وثالثها العلاج بالدواء المركب .

إذا كان الجسم بحاجة إلى الغذاء وبحاجة إلى الدواء في بعض الحالات فهو بحاجة إلى الحركة الرياضية في غالبية الأحوال ، يقول ابن القيم والحركة أقوى الأسباب في منع الأمراض فإنها تسخن الأعضاء وتعود البدن الخفة والنشاط وتجعله قابلاً للغذاء ، وتقوي أوتار البدن ورباطاته وتقوي مفاصله ، ويأمن البدن بها من جميع الأمراض المادية وأكثر الأمراض المزاجية يشترط أن تكون الرياضة بقدر معتدل وفي وقت مناسب ، ووقت الرياضة المناسب بعد انحدار الغذاء وكمال الهضم . والرياضة المعتدلة هي التي تحمر فيها البشرة وتربو ، وينتدى فيها البدن ، وأما التي يلازمها سيلان العرق فمفرطة . كما أنه رحمه الله ينظر إلى الرياضة نظرة شمولية فلا يحصرها في رياضة أعضاء بعينها بل يرى أن لكل عضو من أعضاء البدن رياضة تخصه . وهناك أنواع من الرياضة تستفيد منها جميع الأعضاء فيقول وأي عضو كثرت رياضته قوى وخصوصاً على نوعي تلك الرياضة .

ولكل عضو رياضة تخصه ، فللصدر القراءة فليبتدئ فيها من الخفية إلى الجهر بتدريج ، ورياضة السمع بسمع الأصوات والكلام بالتدريج ، فينقل من الأخف إلى الأثقل وكذلك رياضة اللسان في الكلام ، وكذلك رياضة البصر وكذلك رياضة المشي بالتدريج شيئاً فشيئاً . وأما ركوب الخيل والمصارعة والمسابقة على الأقدام فرياضة للبدن كله ، وهي قالعة لأمراض مزمنة كالجذام والاستسقاء . ما أعظم هذا الدين وهديه الذي أهتم بالروح والعقل والبدن فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

٥- بم يكون بناء الإنسان :-

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد الهادي الأمين وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .. وبعد .

فقد أنزل الحق تبارك وتعالى كتابه المبين علينا رحمة الله للعالمين لهداية الناس إلى الطريق المستقيم ، فقام ببناء هذا الإنسان بناءً محكماً شاملاً لكل مناحي حياته بناءً متكاملاً يشمل أمور الدنيا والآخرة وإن بناء هذا الإنسان يستتبعه صعوبة البناء ومشقة التحول ويحتاج إلى تضافر الجهود والتعاون على البر والتقوى ، قال تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) فالدعوة إلى الله ما هي إلا جهود منا بوسائل مختلفة وطرق متعددة من أجل بناء هذا الإنسان بناءً متكاملاً بناء فكره ومشاعره ، بناء روحه وعاطفته ، بناء عقله وقلبه ، بناءً مادياً ومعنوياً ليكون بذلك البناء عاملاً من عوامل نقل الأمة كلها من محيط إلى محيط فما أصعب هذا البناء ؟ وما أشق ذلك النقل طالما أنهما مرتبطين بالإنسان ليس بالحائط ولا الجدران ؟ ، إذ لا يوجد شيء في الكون كله أصعب مراساً من الإنسان فهو عصي الانقياد كثير اللدد واللجاج إلا ما رحم ربي ، ومن هذا المنطلق نرى أن مهمة المربي والداعية إلى الله من أشق المهام وأصعبها ، ورغم تلك المشقة والمعاناة فإن الدعوة إلى الله ضرورة حتمية من ضرورات حياة هذا الكون ودعامة من دعائم التقدم والتطور رغم الصعاب التي تعترض مسيرة هذه التربية والدعوة .

فالتربية والدعوة غرس للعمل الصالح دون غرض أو هوى تعهد له بالسقي ورعاية دون من أو رياء حتى ينمو ويتفرع وتصبح ثماره دانية القطوف بل تبقى دور مستمرة الإيتاء

والعطاء كل ما توفر التجرد وتعمق الإخلاص وابتعد الداعية والمربي عن الغرض والهوى ، ولابد من الإشارة إلى أن التجرد في الهوى هو غاية العبادات بدءً بتلاوة القرآن ومروراً بإماطة الأذى عن الطريق وأمثالها وانتهاءً بأداء الفرائض والواجبات كل تلك الأعمال يجب أن تكون خالصة لله سبحانه وتعالى دون من أو دون جري وراء الشهرة وكسب إعجاب الناس ، لأن ذلك من شأنه أن يفسد العمل ويجعله قبيحاً ولا تكون عملاً صالحاً لأن العمل الصالح قرين الإخلاص والتجرد دوماً ، قال تعالى : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) ، وقال عز من قائل : (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) حيث تشبه الآية الأولى أن دين الإسلام دين الملة المستقيمة وإنما يتمثل في إخلاص الدين لله والميل عن الشرك وأهله على أن تنعكس هذه العبادة الخالصة صلاة وزكاة وما يستلزمها ويتبعها .. أي تحقق مقتضاهما : (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) ، (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) ، كما تشير الآية الثانية على ضرورة الربط بين الدعوة والعمل الصالح إذ لا معنى لقول بلا عمل ، ومن ثم قال ابن كثير في تفسير تلك الآية أي وهو في نفسه مهتد فنفعه لنفسه ولغيره وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتوه بل يأتمر بالخير ويترك الشرك وهذه عامة في كل من دعا إلى الخير ، وقال علي رضي الله عنه : قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك ، وقال الشاعر :

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يقبل إن وعظت ويقتدي ... بالرأي منك وينفع التعليم

وقال الآخر :

وغير تقي يأمر الناس بالتقى طبيب يداوي الناس وهو عليل

وقال أبو العتاهية :

وصفت التقى كأنك ذو تقى وروح الخطايا من ثيابك تسطع

فالداعية العالم والمعلم الرباني المتجرد المخلص لله في العمل يكون أثره عظيماً ونفعه عميماً حيث يعمل عندئذ على توفير الاستقرار النفسي والروحي لأفراد الأمة فينصرف كل فرد من أفرادها إلى الجد والاجتهاد في عمارة الكون على ضوء منهج الله بحكم أنه خليفة الله في الأرض وتلك العمارة الكونية هي التي تسمى اليوم بالتنمية الشاملة ومن ثم نرى أن هذه التربية لها دور كبير وأثر فعال في التنمية بمفهومها الواسع منذ القدم . فقط اختلفت الوسائل وتعددت الطرق والأساليب ، وتفاوتت من عصر إلى عصر ولكنها في جميع العصور كانت تعنى بالإنسان باعتباره الطاقة ذات التأثير الفعال في مجالات التنمية المختلفة وباعتباره الهدف والغاية من العمليات التنموية لكنه لن يكون فعالاً دون توجيه وتبصير بحيث يدعوه ذلك التوجيه إلى تغيير ما بنفسه ليتغير ما حوله : (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ويدعوه ذلك التوجيه أيضاً وتلك التربية إلى الابتعاد عن عوامل الأثرة والأنانية ونوازع الجسد والحقد وعوامل الجبن والخور والاستكانة ودوافع الشح والبخل والتقتير .. فهذه جميعاً من الأشياء التي يجب على الدعاة والمربين أن يعملوا على تجنيب أنفسهم منها ثم تجنيب بقية أفراد الأمة ، لتصبح

البيئة الاجتماعية بجوانبها المختلفة [النفسية والاجتماعية والروحية والاقتصادية وغيرها] نقية صالحة معينة على العمل الدؤوب والتنمية المطردة .

أخي المربي .. إنك على أخطر ثغر في الإسلام ومسؤوليتك عظيمة فاستعن بالله على أداء هذه الرسالة واخلص النية له في العمل والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً وتوكل عليه إن الله يحب المتوكلين فهو المعين لك والموفق واعلم أن أجرك عظيم وثوابك عنده جزيل إذا حققت هذه النية ، قال صلى الله عليه وسلم : " لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم " .

نسأل الله لنا ولك التوفيق والسداد ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

٦- الناس أنواع وأجناس :-

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه.. وبعد .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر بنهار ثم قام خطيباً فلم يدع شيئاً يكون إلى قيام الساعة إلا أخبرنا به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه وكان فيما قال : " إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ألا فاتقوا الدنيا واتقوا النساء " ، وكان فيما قال : " ألا لا يمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول بحق إذا علم " . قال فبكى أبو سعيد . فقال : قد والله رأينا فهبنا . فكان فيما قال : " ألا إنه يُنصب لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر غدرته ولا غدرة أعظم من غدرة إمام عامة يركز لواءه عند إسته " فكان فيما حفظنا يومئذ : " ألا إن بني خلقوا على طبقات شتى فمنهم من يولد مؤمناً ويحيا مؤمناً ويموت مؤمناً ، ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت كافراً ، ومنهم من يولد مؤمناً ويحيا مؤمناً ويموت كافراً ، ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت مؤمناً ، ألا وإن منهم البطيئ الغضب سريع الفيء ، ومنهم سريع الغضب سريع الفيء فتلك بتلك ألا وإن منهم سريع الغضب بطيء الفيء ألا وخيرهم بطيء الغضب سريع الفيء ألا وإن شرهم سريع الغضب بطيء الفيء ، ألا وأن منهم حسن القضاء حسن الطلب ، ومنهم سيء القضاء حسن الطلب ، ومنهم حسن القضاء سيء الطلب ، فتلك بتلك ، ألا وإن منهم سيء القضاء سيء الطلب ، ألا وخيرهم حسن القضاء حسن الطلب ، ألا وإن شرهم سيء القضاء سيء الطلب ، ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم أما رأيتم على حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فمن أحس بشيء من ذلك فليلصق بالأرض " قال : وجعلنا نلتفت إلى

الشمس هل بقي فيها شيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ألا إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه " ، قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح .

في هذه الخطبة دروس وعبر وعظات منها أن الأسلوب الأمثل في التوجيه هو ما روعي فيه حالة المستمعين النفسية فكان من هديه صلى الله عليه وسلم أن يتخول أصحابه بالموعظة مخافة السآمة عليهم . فقد كان عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يحدث أصحابه في كل أسبوع مرة . فقال له بعضهم ألا تحدثنا في كل يوم ، قال : والله إني لأتخولكم بالموعظة كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بها مخافة السآمة علينا .

والموعظة لها وقع في نفوس المستمعين إذا كانت نفوسهم في حالة راحة وطمأنينة ويحصل هذا عقب الفراغ من أداء الصلاة التي تريح النفوس والأرواح فقد كان صلى الله عليه وسلم يجد الراحة في هذه الصلاة المكتوبة ويقول صلى الله عليه وسلم لبلال رضي الله عنه : " يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها " ، وكان يقول عليه الصلاة والسلام : " وجعلت قرة عيني في الصلاة " فالنفوس بعد أداء الصلاة تجد الطمأنينة والراحة والتوجه إلى الله عز وجل ، لذا فالتوجيه والوعظ والإرشاد يأخذ مكانه في هذه النفوس ويسري مفعوله فيها وهذا أمر ينبغي أن يفطن إليه الدعاة إلى الله عز وجل فيعظوا الناس ويرشدوهم بما يسعدهم في دنياهم وأخراهم ويتخولوهم بالموعظة كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

إن الله عز وجل قد خلق هذا الإنسان وابتلاه بدار الدنيا فالدنيا حلوة خضرة وهو خليفة الله فيها (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) وهو يعيش فيها على ضوء ما شرعه خالقه ومستخلفه وهو الله عز وجل فإن فعل فقد أدى الأمانة وقام بتبعات الخلافة وإلا فقد خان الأمانة التي تبرأت منها السموات والأرض والجبال ، قال تعالى : (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً) والإنسان في هذه الدنيا في دار امتحان وابتلاء قد أوضح له مولاه سبيل الحق وحذره من سبيل الشيطان : (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) فالله ينظر إلى أعمال عباده وينظرهم إلى يوم البعث والنشور ويجازي كلاً بعمله إن خيراً فخير أو إن شراً فشر ، ولقد حذر المصطفى صلى الله عليه وسلم أمته من الدنيا ومفاتنها ومن النساء اللواتي هن حبائل الشيطان ، فقال : " اتقوا الدنيا واتقوا النساء " أي اجعلوا بينكم وبين الدنيا وقاية بترك الحرام وترك التكالب عليها والانغماس في متعها الفانية ، واتقوا النساء أي احذروا الافتتان بهن فقد قال صلى الله عليه وسلم : " ما تركت فتنة بعدي هي أضر على الرجال من النساء " ولقد كانت أول فتنة بني إسرائيل في النساء ، ومن هذه الدروس التربوية في هذه الخطبة النبوية الجرأة في قول الحق وألا تأخذ المؤمن في الله لومة لائم ، لأن المؤمن لا يخش إلا الله ولا يخاف إلا منه ولا يرجو أحداً غيره وهو يعلم إن الأجل والرزق بيد الله . لا يطول العمر الجبن والخور ولا ينقصه الشجاعة والإقدام والرزق على الله لا يجلبه حرص حريص ولا ترده كراهية كاره ، من هذا التصور فالمؤمن شعاره قول الحق والكلمة الصادقة حتى وإن كانت فيها هلكته فهي من أعظم الجهاد ، قال صلى الله

عليه وسلم : " أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر " وقال صلى الله عليه وسلم : " لا يمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه " فالرسول صلى الله عليه وسلم المعلم الرباني والمربي الماهر يعلم أن في المجتمع بعض العوائد التي ألفها الناس ويرون أن الخروج عن هذا المألوف يعتبر خروجاً على عادات قد ألفوها ، والإسلام لا يقر مثل هذه العادات إذا كان فيها مخالفة لشرع الله فالحق أحق أن يتبع والمؤمن الحق لا يهاب الناس ولا يخش أحداً في قوله الحق أو فعله الحق لكن بعد أن يتأكد ويعلم علم اليقين أن ما قاله هو الحق الذي لا مرية فيه وأن ما فعله هو الحق الذي لا يصح الخروج عليه ، ولقد كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يصدعون بالحق لا يخشون أحداً ولا يهابون الناس وكان بحق مشاعل هداية ومنارات حق كيف لا وهم قد تربوا في مدرسة النبوة ونهلوا من معين التربية الإسلامية فكانوا كالنجوم التي يهتدى بها ، ولكن ما الذي أبكى أبا سعيد رضي الله عنه فقال : قد والله رأينا أشياء فهبنا . إن الذي أبكاه هو شعوره بالمسؤولية وخوفه من التقصير في أدائها أما في حقيقة الأمر فهم أولى بالدعوة إلى الحق وحمل الناس عليه لأن الله عز وجل قد اختارهم لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم فهم خير القرون على الإطلاق رضي الله عنهم وأرضاهم .

٧- بين الخير والشر والمحبوب والمكروه :-

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه .. وبعد.

فإن الدنيا دار ابتلاء ومحل اختبار للمؤمن يبتلى فيها بالخير والشر : (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) وتصيبه المكاره والمحاب ويكتوي بالضر والنفع والخير والشر ولكن لديه حصانة إيمانية وموقفاً متزناً رسمه له الإسلام فإذا نزل البلاء به ووقع الضر عليه ماذا يفعل ؟ وكيف يتصرف ؟ وإذا أصابته النعمة وحصلت له السراء ما موقفه وكيف يفعل ؟ لقد رسم الإسلام له المنهج القويم والطريق المستقيم فقال عليه الصلاة والسلام : " عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير إذا أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإذا أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن " نعم قد يحل المكروه وقد يأتي المحبوب وكل ذلك بقضاء الله وقدره ، فما يصيب المؤمن من ضر أو مكروه وما يقع له من محبوب أو سار قد يكون فيه ضرر عليه وعلى المؤمن أن يرضى بقضاء الله وقدره ويعلم أن ما وقع له وما أصابه من صوارف الزمن ومن نكبات فيها خير عظيم وأجر وفير إذا رضي بقضائه وسلم وقال عز من قائل : (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) لقد استنبط ابن القيم رحمه الله تعالى من هذه الآية الكريمة حكماً وفوائد وأسرار ومصالح جدير بنا أن نقف عندها ونتملاها ، فقال : في هذه الآية عدة حكم وأسرار ومصالح للعبد ، فإن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتي بالمحبوب ، والمحبوب قد يأتي بالمكروه لم يأمن من أن توافقه المضرة من جانب المسرة ، ولم ييأس أن تأتيه المسرة من جانب المضرة ، لعدم علمه بالعواقب ، فإن الله يعلم منها ما لا يعلمه العبد ، أوجب له

ذلك أموراً ، منها أنه لا أنفع من امتثال الأمر وإن شق عليه في الابتداء ، لأن عواقبه كلها خيرات ومسرات ولذات وأفراح وإن كرهته نفسه فهو خير لها وأنفع ، وكذلك لا شيء أضر عليه من ارتكاب النهي وإن هويته نفسه ومالت إليه وإن عواقبه كلها آلام وأحزان وشرور ومصائب . وأقول هناك شاهد من كتاب الله يتجلى في موقف الخضر مع موسى عليه السلام وقد رافقه موسى ليتعلم من علمه وليستفيد من صحبته حيث وجد غلاماً فقتله الخضر فأنكر موسى عليه السلام فعله هذا فقال : (أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً) وفي نهاية الرحلة وبعد أن أراد أن يفارق موسى عليه السلام أوضح له أسباب تلك التصرفات فقال الخضر : (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً) إن فقد الولد يعتبر ضرراً أي ضرر ومصيبة أي مصيبة ولكن قد يكون في فقد الولد خير ونعمة لا يعلم عنها إلا الله عز وجل مقدر المقادير ومصارف الأمور فالمؤمن ما أمامه إلا الرضا بالقضاء والقدر والتسليم لله واللجوء إليه فهو الموهب وهو الآخذ وهو المعطي وهو المانع ، وتجاه ذلك ما عليه إلا أن يقول اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها ، وقد وجه الرسول عليه الصلاة والسلام أم سلمة رضي الله عنها بهذا التوجيه لكنها وجدت حديثاً في نفسها حيث قالت : من خير من أبي سلمة ، لكنها قالت ذلك طاعة لله ورسوله فأخلفها الله بمن هو خير من الدنيا وما فيها النبي المصطفى عليه الصلاة والسلام . فهذه واقعة حية تدل على أن الرضا والتسليم يكسب الإنسان الطمأنينة والأمن ومحبة الله عز وجل وعوضه وعطاءه الجم

وواقعة أخرى قصة أم سليم مع زوجها أبي طلحة رضي الله عنه فقد كان له ابن مرض وكان خارجاً في سفر فعند عودته مات الغلام ولكنها رضي الله عنها لم تخبره حتى لا تنغص عليه حياته وقد جاء من سفر منهك البدن بل إنها عندما سألها عنه وقال : كيف الغلام ؟ قالت : هو أسكن ما يكون الليلة ، فقدمت له الطعام والشراب فأكل وشرب وتجملت له فأصاب منها ثم قالت : لو كان لبني فلان وديعة عندك وطلبوها أترجعها إليهم قال نعم فقالت : إن ابنك هو وديعة الله عندك قم فجهزه ، فغضب رضي الله عنه وشكاها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : " اللهم بارك لهما في ليلتهما " فأنجبا غلاماً وبعثت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحنكه فحنكه بتمرة فعاش ذاك الغلام وأنجب عشرة من الولد كلهم يحفظ كتاب الله.

إن الرضا والتسليم بقضاء الله وقدره يريح النفس ويطمئن القلب ويعظم الأجر والثواب فالله هو الذي يعلم ما يصلح حالنا وما يفسد علينا حياتنا ويضيع علينا ديننا ودنيانا : (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) .

ومن أسرار هذه الآية كما يقول ابن القيم ، أنها تقتضي من العبد التفويض على من يعلم عواقب الأمور والرضا بما يختاره له ويقضيه إليه لما يرجو فيه من حسن العاقبة ، ومن هذه الأسرار أن لا يقترح على ربه ولا يختار عليه ولا يسأله ما ليس له به فلعل مضرته وهلاكه فيه وهو لا يعلم فلا يختار على ربه شيئاً بل يسأله حسن الاختيار وأن يرضيه بما يختاره فلا أنفع له من ذلك .

ومن هذه الأسرار أنه إذا فوض إلى ربه رضي بما يختاره له أمده فيما يختاره له بالقوة عليه والعزيمة والصبر وصرف عنه الآفات التي هي عرضة اختيار العبد لنفسه أو أراه من حسن عواقب اختياره له ما لم يكن ليصل إلى بعضه بما يختاره هو لنفسه . إلى غير ذلك من الأسرار والحكم والفوائد العظيمة التي استنبطها رحمه الله من هذه الآية الكريمة .

وفي الجملة فإن في الرضا والتسليم بما يقدره الله ويرضاه لك أيها المسلم خيراً عظيماً في الدنيا والآخرة وسلامة لقلبك وراحة لك من القلق والاضطراب والتشكي والتسخط وسواء رضيت أو لم ترض فقضاء الله وقدره نافذ لكن مع الرضا أنت معان ومثاب ومسدد ومع السخط أنت آثم ومنهزم ومضطرب وقلق . فمن رضي فله الرضا ومن سخط فعليه السخط .

اللهم رضينا بقضائك وسلمنا من صوارف الدنيا ووفقنا لما تحب وترضى إنك ولي ذلك والقادر عليه .

٨- جمال الباطن والظاهر :-

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى .. وبعد .

فإن الإسلام قد نظم حياة المسلم ودله على كل ما هو خير له في دينه ودنياه ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو المربي لأمته والمرشد لهم وهاديهم إلى سواء السبيل فما من خير إلا ودلهم عليه ، وما من شر إلا وحذرهم منه فأكمل الله به الدين وأقام به الحجة وختمت رسالته جميع الرسالات السماوية فمن الأمور التي اهتم بها الإسلام ووضع لها التوجيهات أمر اللباس ، فيه يواري الإنسان سوأته ويتخذه زينة ، لذلك وضع الإسلام توجيهاته في أمر اللباس وجعل الزينة أمرها مباحاً إذا سلمت من المباهاة والافتخار والسرف والمخيلة ، قال تعالى : (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) ولقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم أن جمال الهيئة باللباس من الأمور المحببة إلى النفس والمقبولة في المجتمع ورد ذلك في سؤالهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال : " لن يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر " فقالوا : يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً ، قال : " إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس " ، ولقد كان صلى الله عليه وسلم إذا أقبل على قوم يقول لأصحابه : " اصلحوا رواحلكم واصلحوا ثيابكم لتكونوا كالشامة بين الناس " وقد كان له صلى الله عليه وسلم جبة يستقبل بها الوفود .. هذا هو الإسلام الذي يحث على النظافة وجمال الهيئة وطهارة الظاهر والباطن ، فعلى المسلم أن يلتزم بهديه ويسير على هدى المصطفى صلى الله عليه وسلم ويبتعد عن المغالاة والإفراط وعدم الاتزان في لبس الثياب كما عليه أن يبتعد عن كل ما هو محرم من لبسه كالحرير أو الذهب مع أنهما مباحان للإناث ،

وعن لبس الديباج والجلوس عليه ، لأن في هذا افتخار وتعال وكبر وغطرسة ، عن أبي عامر الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحرى والحرير " رواه أبو داود وأصله في البخاري ففي هذا الحديث بيان لتحريم الزنا ولبس الحرير كما فيه بيان أن المعاصي لا تخرج المسلم من دائرة الإسلام ، وفيه توضيح لحال الأمة في أواخر الزمان ، وأنهم سيرتكبون أنواعاً من المحرمات التي يمارسونها كأن يشربون الخمر ويسمونها بغير اسمها ويرون أنها مشروبات روحية ويتعاملون بالربا ويسمونه فوائد وغير ذلك .. كما أن في الحديث بيان لأمة الدعوة ولا شك بأنها بخلاف أمة الإجابة لأن من يستحل ما حرم الله هو كافر ومع هذا مع أمة محمد أمة الدعوة بخلاف أمة الإجابة وهم المؤمنون الحقيقيون ، ولقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشرب في آنية الذهب والفضة ونهى عن لبس الحرير والديباج والجلوس عليه كما جاء في صحيح البخاري لأن لبس الحرير ولبس الديباج فيه تعاظم وتفاخر ويؤدي إلى الميوعة وتخنث الطبع للرجال ، كما أن في ذلك سرف وتبذير وكسر لقلوب الفقراء ، ولقد كان صلى الله عليه وسلم بجانب نهيه عن لبس الحرير إذا رأى من يلبسه ينكر عليه أشد النكير ، ولقد كسا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً رضي الله عنه حلة سيراء وهي المضلعة بالحرير قاصداً أن يهديها لنسائه لكنه رضي الله عنه جعلها لنفسه ولبسها وخرج بها فعندما رآها عليه ظهر الغضب على وجهه وعرف هذا علي رضي الله عنه ، فعنه رضي الله عنه قال : كساني النبي صلى الله عليه وسلم حلة سيراء فخرجت فيها فرأيت الغضب في وجهه صلى الله عليه وسلم فشققتها بين نسائي . متفق عليه ، وهذا لفظ مسلم ونساؤه رضي الله عنه فاطمة رضي الله عنها

زوجه ، وفاطمة بنت أسد أمه ، وفاطمة بنت حمزة رضي الله عنه عمه . إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقر الباطل ولا يقر على خطأ فإذا رأى المنكر فهو يغار على محارم الله وهكذا المسلم ينبغي أن يكون آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر بلسان حاله ومقاله وأقل إنكار المنكر الإنكار بالقلب ، وما في القلب يظهر على الوجه والجوارح وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم درجات المنكر حيث قال : " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان " فدرجة الإنكار بالقلب يستطيعها كل أحد ، فإذا كان الرجل يرى المنكر ولا يتحرك لذلك وجدانه ولا تهتز مشاعره ولا يتمعر وجهه فليراجع حسابه مع نفسه ويتفقد إيمانه .. وعندما علي رأى رضي الله عنه الغضب في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف بفطنته وثاقب فكره وقوة ذكائه أن سبب ذلك هي هذه الحلة التي لبسها فبادر بنزعها ، وهكذا المؤمن عندما يفعل شيئاً من المنكرات ويُنصح في ذلك فعليه المبادرة والإقلاع عما هو فيه والانصياع لأوامر الله والبعد عن نواهيه فليحذر من التعالي والتكبر وعدم قبول الحق ، لأن الكبر بطر الحق وغمط الناس أي رد الحق واحتقار الناس ، وإن الكافر والمنافق والفاسق والزنديق إ ذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فليحذر المؤمن من ذلك وليذعن للحق وينصاع لداعيه .

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعلنا هداة مهتدين وأن يجعلنا ممن يستمع القول ويتبع أحسنه ، اللهم اهدنا إلى الصراط المستقيم يا عزيز يا كريم .

٩- الغرائز والسلوك :-

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد .

فقد أودع الله سبحانه وتعالى في الإنسان غرائز متعددة يدفع بها عن نفسه الأخطار ويحمي بها نفسه عن الهلاك وتنتظم شؤونه بها فما هي إلا محركات وموجهات لسلوكه وتصرفاته ، وللعقل دور بارز في توجيه هذه الغرائز وضبطها ، وهذه الغرائز لا توجد بشكلها الطبيعي إلا عند الطفل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كل مولود يولد على الفطرة " والغرائز عند الإنسان تعدل والتعديل يتناول مثير الغريزة أو السلوك الناشئ وهي ما تسمى عند ابن القيم العوارض النفسية ، لأنها أمور تعرض للنفس ولها تأثير في القول إهداراً واعتباراً وأعمالاً وإلغاءً ، يقول رحمه الله : إن قاعدة الشريعة أن عوارض النفس لها تأثير في القول إهداراً واعتباراً وأعمالاً وإلغاءً وهذا كعارض النسيان والخطأ والإكراه والسكر والجنون والخوف والحزن والغفلة والذهول ولهذا يحتمل من الواحد من هؤلاء من القول ما لا يحتمل من غيره ويعذر بما لا يعذر به غيره لعدم تجرد القصد والإرادة . ثم يعد رحمه الله الغضب من هذه العوارض بل هو أقواها فيقول : وعارض الغضب قد يكون أقوى من كثير من هذه العوارض ، فالغضبان لا يترتب على كلامه مقتضاه لعدم تجرد القصد والإرادة . لذا فطلاق الغضبان لا يقع لأنه فاقد لوعيه غير متحكم في

إرادته . والناس يتفاوتون تفاوتاً عظيماً في ملك قواهم عند الغضب وحال الطمع والحزن والخوف والشهوة ، فمنهم من يملك ذلك ويتصرف فيه ومنهم من يملكه ذلك ويتصرف فيه والحزن عارض من هذه العوارض وهو كما يعرفه ابن القيم [انخلاع عن السرور وملازمة الكآبة لتأسف على فائت أو توجع لممتنع وهو مرض من أمراض القلوب يحول دون القلب ويمنع صاحبه من النهوض والسير والتشمير للعمل وهو بلية من البلايا التي ينبغي للمسلم أن يسأل الله دفعها وكشفها ، لذا جاء في الحديث : " اللهم إني أعوذ بكل من الهم والحزن " والهم والحزن قرينان متلازمان ويشكلان الألم الذي يرد على القلب ، فإن كان على ما مضى فهو الحزن ، وإن كان على ما يستقبل فهو الهم ، فالألم الوارد على القلب إذا كان مصدره فوت الماضي أثر الحزن وإن كان مصدره فوت الآتي أثر الهم ، وللحزن دور خطير في ضعف الإرادة والعزم لأن الإرادة من أعمال القلوب والحزن يضعفها ويقعدها عن سيرها وهو أنواع فمنها ما هو سلبي يؤثر سلباً وإما إيجابياً يؤثر على العمل فيقول ابن القيم وهو يصف حزن المؤمن : فإن المؤمن إما أن يحزن على تفريطه وتقصيره في خدمة ربه وعبوديته ، وإما أن يحزن على تورطه في مخالفته ومعصيته وضياع أيامه وأوقاته . فهذه الغريزة يرى رحمه الله أنها موجودة ولا ينكر وجودها ولا ينادى بدفعها بل يرشد إلى أنه ينبغي أن توجه إلى ما ينفع المؤمن في دينه ودنياه ، فعلى الإنسان المسلم بأن يوجه حزنه إلى مسالك الخير وبناء الإيمان فلا يحزن على شيء إلا إذا فرط في حق من حقوق الله فمتى ما استشعر ذلك فإنه يكون حي القلب صحيح الإيمان هذا كما يقول ابن القيم على صحة الإيمان في

قلبه وعلى حياته حيث شغل قلبه بمثل هذا الألم فحزن عليه . أما إذا كان العبد لا يشعر بهذا الشعور ولا يحزن إذا فرط في حقوق الله يكون بذلك ميت القلب ، وإضافة إلى ذلك فإنه بهذا الموت لا يشعر بأن إيمانه ضعيف وهناك ترابط بين حياة القلب وبين الألم الناشئ من التفريط في حقوق الله فكلما كان القلب أشد حياة كان شعوره بهذا الألم أقوى والحزن في صفته السلبية يضعف القلب ويوهن العزيمة والإرادة ويقعد عن العمل . فهذا الحزن لا يجدي للقلب شيئاً بل يضعفه وإنما الذي ينفعه أن يستقبل السير ويجد ويشمر ويبذل جهده وعندما يحزن الإنسان وتخور عزائمه وتضعف عزيمته فإنه يقعد عن العمل ويميل إلى الخمول فتنتابه الأمراض ويعيش حياة بطالة ويعيش كلاً على مولاه فالحزن لا يكون له الأثر الإيجابي إلا إذا لازمه العمل والتشمير وتعويض ما فات . فيقول ابن القيم وهو يضرب مثالاً يوضح به هذا المعنى : وهذا نظير من انقطع عن رفاقه في السير فجلس في الطريق حزيناً كئيباً يشهد انقطاعه ويحدث نفسه باللحاق بالقوم ، فكل ما فتر وحزن حدث نفسه باللحاق برفقته ووعدها إن صبرت أن تلحق بهم وتزول عنها وحشة الانقطاع ، فهو بهذا يعيش مع الخيال وحديث النفس فقد أقعده الحزن وأضعفه عن العمل فكان الأجدر به مع حزنه هذا أن يشمر عن ساق الجد وينطلق في اللحاق برفقته لا يثنيه عن ذلك حزن ولا هم حتى يلحق بهم ، وهناك نوع من الحزن يذكره ابن القيم وهو الحزن الذي يضيع به الوقت في تشتت القلب والفكر عن تمام السير والجد ، فإن التشتت من أعظم البلايا على السالك والسائر إلى الله. ونوع آخر من الحزن وهو أخص من هذا ألا وهو حزنه على جزء من أجزاء قلبه

كيف هو خال من محبة الله . وعلى جزء من أجزاء بدنه كيف هو منصرف في غير محاب الله فهذا حزن الخاصة كما يقول . ويدخل فيه حزنهم على كل معارض يشغلهم عما هم بصدده من خاطر أو إرادة أو شاغل من خارج ، وإذا كان الحزن عارض من أعراض النفوس ومرض من أمراض القلوب إذا أعرض عن العمل فإن له علاجاً . ومن علاجه عدم الاستسلام للحزن بل يغالب نفسه في أن يتزامن معه عمل مثمر بناء . ومن العلاج التفكير فيما يدفع به أسباب هذا الحزن واللجوء إلى الله بأن يصرف عنه الحزن والهم ويتضرع إليه سبحانه بالدعاء الوارد من رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضلع الدين وغلبة الرجال " ومن علاج الحزن معرفة الإنسان لربه وانقياده له وطاعته ومحبته سبحانه وتعالى لأنه من عرف الله أحبه ولابد ، ومن أحبه انقشعت عنه سحائب الظلمات وانكشفت عن قلبه الهموم والغموم والأحزان، وعمر قلبه بالسرور والأفراح وأقبلت إليه وفود التهاني والبشائر من كل جانب فإنه لا حزن مع الله ولهذا قال حكاية عن نبيه صلى الله عليه وسلم أنه قال لصاحبه أبا بكر رضي الله عنه (لا تحزن إن الله معنا) فدل ذلك أنه لا حزن مع الله وأن من كان الله معه فما له وللحزن ، وإنما الحزن كل الحزن لمن فاته الله . فمن حصل الله له فعلى أي شيء يحزن ؟ ومن فاته الله فبأي شيء يفرح ؟.

اللهم إنا نسألك التوفيق والسداد والإعانة إنك ولي ذلك والقادر عليه .

١٠- الإنسان ووسائل كسب العلم والمعرفة :-

الحمد لله ذي النعمة والفضل والكرم والإحسان ، أحمده حمداً كثيراً وأشكره شكراً جزيلاً على نعمه التي لا تعد ولا تحصى (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) والصلاة والسلام على الهادي البشير والسراج المنير سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن سلك طريقهم وسار على نهجهم إلى يوم الدين .. وبعد .

قال الحق سبحانه وتعالى : (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) أخرجكم من أرحام الأمهات لا تعقلون شيئاً ولا تعلمون فرزقكم السمع الذي تسمعون به الأصوات والأبصار التي تبصرون بها الأشخاص ، والقلوب التي تعرفون بها الأشياء وتفكرون بها ، لتشكروا الله على ما أنعم به عليكم ، وهذه هي وسائل كسب العلم والمعرفة والله سبحانه وتعالى بمنه وفضله هو الذي زود الإنسان بهذه الوسائل وهو سبحانه أخرج عباده من بطون الأمهات لا يعلمون شيئاً وعدم علمهم هي الحالة الأصلية لهم ، فالعلم والعقل والقوة طارئة عليهم حادثة فيهم بعد أن لم تكن ، ولم نكن نعلم شيئاً ألبتة ، إذ لم يكن لنا وجود نعلم ونعقل به فهو الذي من على عباده بهذه الوسائل ، فالأسماع والأبصار والأفئدة التي نالوا بها من العلم ما نالوه هي من فضله وكرمه ، وأنه فعل ذلك ليشكروه .

وابن القيم رحمه الله كغيره من علماء السلف يعرف قيمة هذه الوسائل التي منحها الله الإنسان ليكتسب بها العلم وبجانب هذا أيضاً يعرف أيضاً أن من يعطل هذه الوسائل ولا يستعملها فيما خلقها الله من أجله ، فإنه يكون بمنزلة الحيوان : (لم يبق فيه إلا القدر المشترك بينه وبين سائر الحيوانات) وهي الحيوانية البهمية ومن وصل إلى هذه

المنزلة فإنه يفقد حياء الناس له وتقديرهم إياه ، والناس لا يمتنعون بحضرته وشهوده مما يستحييها منه من أولى الفضل والعلم ، وحالة هذا الإنسان وحقيقته أنه غافل عن الفضائل الدينية والعلوم النافعة والأعمال الصالحة وهو واحد من الهمج الرعاع الذين يكدرون الماء ويغلون الأسعار إن عاش عاش غير حميد وإن مات مات غير فقيد ، يقول سيد قطب رحمه الله ، ومولد كل عالم وكل باحث ومخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئاً قريب .. وما اكتسبه بعد ذلك من علم هبة من الله بالقدر الذي أراده للبشر وجعل منه كفاية حياتهم على هذا الكوكب ، في المحيط المكشوف لهم من هذا الوجود : (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) والقرآن يعبر بالقلب ويعبر بالفؤاد عن مجموع مدارك الإنسان الواعية ، وهي تشمل ما اصطلح على أنه العقل وتشمل كذلك قوى الإلهام الكامنة المجهولة الكنه والعمل : (جعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) حين تدركون قيمة النعمة في هذه وفي سواها من آلائه عليكم وأول الشكر الإيمان بالله الواحد المعبود ، انتهى كلامه يرحمه الله .

ويقول أبو الأعلى المودودي رحمة الله عليه في كتابه القيم منهج جديد في التربية والتعليم وهو كتاب جدير بالتأمل والتدبر والاقتناء وحسبه أنه بريد من فتح قلبه إلى الإيمان بأهمية الإسلام في الحياة عامة وفي مجال التربية والتهذيب على وجه خاص ، وقد بدأ كتابه هذا بالتساؤل عن الأسباب التي ترتفع بها الأمم إلى أوج الحضارة فتتولى قيادة العالم ، وعن الأسباب التي تؤدى إلى انحطاطها واضمحلالها ، ويوجز جميع ذلك في المعرفة حيث ما كانت ، إلماماً بثقافة الماضين ، وتمحيصاً لها في ضوء النظر الفاحص الدقيق ، وتنمية لها واستكمالاً اعتماداً على الإبداع والابتكار والتجديد ، فقال رحمه

الله لقد شرف الله سبحانه السلالة البشرية بخلافته في هذا العالم الأرضي لسبب واحد هو المعرفة ، ولقد حبا الله بني آدم بنعمة السمع والبصر والفؤاد في الوقت الذي لم يمنح مخلوقاته من السلالات الأخرى إلا القليل منها ، ولهذا السبب وحده استحق الإنسان أن يكون خليفة الله في الأرض وأن يهيئ له أسباب السيطرة على كافة المخلوقات ومن بين النوع البشري نفسه فازت بالزعامة تلك الفئة من الناس التي استطاعت التفوق على غيرها في ميدان العلم ، ثم أردف قائلاً وموضحاً أسباب الظفر بقيادة البشرية فقال : وماذا يعني السير في مقدمة القافلة البشرية أو وراءها ؟ إن الجواب على هذا السؤال في سر هذه الكلمات الثلاث : السمع ، والبصر ، والفؤاد . إن هذه الكلمات لم يتنزل بها الوحي لتعني فقط مجرد الرؤية على الرؤية والسمع والتفكير ، ذلك بأن السمع معناه هنا إحراز المعرفة التي اكتسبها الآخرون ، والبصر معناه تنميتها بما يضاف إليها من ثمرات الملاحظة والبحث ، والفؤاد معناه تنقيتها من أردانها ثم استخلاص النتائج منها ، وكل هذه القوى الثلاث إذا ما تضافرت بعضها على بعض نجمت عنها تلك المعرفة التي من الله سبحانه وتعالى بها على بني آدم .

هذه المعرفة التي بها وحدها استطاع الإنسان أن يهزم سائر المخلوقات ويسخرها لإرادته وسلطانه ، ولو أردت التعمق في تأمل هذه الحقيقة لهديت في النهاية إلى أن هؤلاء الذين لا يستخدمون هذه المقدرات ، أو ينتفعون بها على قدر محدود هم الذين كتب عليه العيش في حالة من التأخر على أوسع نطاق فهم على العكس ممن يظفرون بالسيادة والسيطرة وهم الذين يصبح لهم حق قيادة الشعوب . انتهى كلامه .

وباستعراض التاريخ نجد أن أمة الإسلام في فترة من فترات عصرها الذهبي كانت هي الممكنة في الأرض حملت هذا الخير وهذا الدين إلى الناس عامة فهدوا العباد على طريق الخير والسعادة وأنقذوهم من طرق الضلال والغواية وما نالوا ذلك إلا بالإيمان بالله والأخذ بوسائل القوة والتمكين من العلم والمعرفة واستفادوا من علوم الماضين ومعارف السابقين ونقوا هذه المعرفة من جميع الشوائب والضلالات ونقحوها وأضافوا عليها فكانت القيادة والريادة لهم وإذا أردنا عزة كتلك العزة وقوة كتلك القوة فعلينا أن نسلك طريقهم وأن نستفيد مما حبانا الله عز وجل من السمع والبصر والفؤاد وأن نشكره على ذلك بالإيمان الصادق والعزيمة القوية .. اللهم ألهمنا رشدنا وأعنا على أمور ديننا ودنيانا ووفقنا للخيرات وابعد عنا السيئات ، والحمد لله على كل حال ، ونعوذ بالله من حال أهل النار .

١١- سبحان من زود الإنسان بوسائل كسب العلم والمعرفة :-

الحمد لله رب العالمين علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على معلم البشرية المربي العظيم صلاة وسلاماً دائمين ما دامت السموات والأرض .. وبعد .

إن الآيات الكريمات التي أنزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم في مستهل النبوة والرسالة هذه الآيات تحمل في طياتها أهم المبادئ التربوية ، فالله سبحانه وتعالى هو الخالق وهو المربي وهو المعلم وهذا الإنسان أوضحت هذه الآيات أصل خلقته وأنه من علق وأنه مخلوق مكرم وهبه الله عز وجل القدرة على التعلم وهذه الآيات التي سنذكرها اشتملت على القراءة والكتابة ، والقراءة والكتابة هما الأساس لكل حضارة إنسانية ، قال تعالى : (اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم) ، يقول ابن كثير رحمه الله : فأول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات ، وهن أول رحمة رحم الله بها العباد ، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم ، فيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة وأن من كرمه تعالى : أن علم الإنسان ما لم يعلم فشرفه وكرمه بالعلم وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية على الملائكة ، والعلم تارة يكون في الأذهان وتارة يكون في اللسان وتارة يكون في الكتابة بالبنان [ذهني ولفظي ورسمي] والرسمي يستلزمها من غير عكس . فلهذا قال : (اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم) ، وفي الأثر : " قيدوا العلم بالكتابة " وفيه أيضاً : " من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يكن يعلم " انتهى كلامه . ويقول ابن جزيّ في كتاب التسهيل : (الذي علم بالقلم) هذا تفسير للأكرم فدل على أن نعمة التعليم أكبر نعمة وخص من التعليم الكتابة

بالقلم لما فيها من تخليد العلوم ومصالح الدين والدنيا ، وقرأ ابن الزبير : علم الخط بالقلم (علم الإنسان ما لم يعلم) يحتمل أن يريد بهذا التعليم الكتابة ، لأن الإنسان لم يكن يعلمها في أول أمره . أو يريد التعليم لكل شيء على الإطلاق . أ.هـ . ويقول الإمام الطبري : (الذي علم بالقلم) الذي علم خلقه الكتابة والخط ، (علم الإنسان ما لم يعلم) علم الإنسان الخط بالقلم مع أشياء مما علمه من العلوم والمعارف . أ.هـ . ويقول الإمام القرطبي رحمه الله : خص الإنسان بالذكر تشريفاً له ، والعلقة قطعة من دم رطب ، لأنها تعلق لرطوبتها بما تمر عليه ، (الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم) نبه تعالى على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إنسان وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم ، ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة ، ولولاها ما استقامت أمور الدنيا والدين . ويقول ابن القيم المربي السلفي رحمه الله : تأمل نعمة الله على الإنسان بالبيان النطقي والبيان الخطي ، وقد اعتد بهما سبحانه في جملة ما اعتد به من نعمه على العبد فقال في أول سورة أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم) فتأمل كيف جمع في هذه الكلمات مراتب الخلق كلها ، وكيف تضمنت مراتب الوجودات الأربعة بأوجز لفظ وأوضحه وأحسنه فذكر أولاً عموم الخلق وهو إعطاء الوجود الخارجي ثم ذكر ثانياً خصوص خلق الإنسان لأنه موضع العبرة والآية فيه عظيمة .. وذكر مادة خلقه هاهنا من العلقة وفي سائر المواضع ذكر ما هو سابق عليها إما مادة الأصل وهو التراب والطين أو الصلصال الذي كالفخار أو مادة الفرع وهو الماء المهين وذكر في هذا الموضع أول

مبادئ تعلق التخليق وهو العلقة ، فإنه كان قبلها نطفة فأول انتقالها إنما إلى العلقة ثم ذكر ثالثاً التعليم بالقلم الذي هو من أعظم نعمه على عباده . إذ به تخلد العلوم وتثبت الحقوق وتعلم الوصايا وتحفظ الشهادات ويضبط حساب المعاملات والواقعة بين الناس ، وبه تقيد أخبار الماضين للباقين اللاحقين ولولا الكتابة لانقطعت أخبار بعض الأزمنة ، ودرست السنن وتخبطت الأحكام ولم يعرف الخلف مذاهب السلف ، وكان معظم الخلل الداخل على الناس في دينهم ودنياهم إنما يعتريهم من النسيان الذي يمحوا صور العلم من قلوبهم فجعل لهم الكتاب وعاءً حافظاً للعلم من الضياع كالأوعية التي تحفظ الأمتعة من الذهاب والبطلان فنعمة الله عز وجل بتعليم القلم بعد القرآن من أجل النعم ، والتعليم به وإن كان مما يخلص إليه الإنسان بالفطنة والحيلة فإنه الذي بلغ به ذلك وأوصله إليه ، عطية وهبها الله منه ، وفضل أعطاه الله إياه وزيادة في خلقه .. فهو الذي علمه الكتابة فتعلم كما أنه علمه الكلام فتكلم ، هذا ومن أعطاه الذهن الذي يعي به واللسان الذي يترجم به والبنان الذي يخط به ومن هيأ ذهنه لقبول هذا التعليم دون سائر الحيوانات ومن الذي أنطق لسانه وحرك بنانه ومن الذي دعم البنان بالكف ودعم الكف بالساعد ؟ فكم لله من آية نحن غافلون عنها في التعليم بالقلم إن هذه الآيات الكريمات فيها إشارة على ما يسمى اليوم بسيكولوجية التعليم ، فالتعليم بالقلم كما يقول ابن القيم يستلزم المراتب الثلاث مرتبة الوجود الذهني والوجود اللفظي والوجود الرسمي ، ففي البيان الذهني يميز بين المعلومات ، وبالبيان اللفظي يعبر به عن تلك المعلومات ، ويترجم عنها لغيره وبالبيان الرسمي الخطي يرسم تلك الألفاظ فيتبين الناظر فيها معانيها ، ما أعظم هذا الدين ، وما أعظم التربية التي ينادي بها ، فعلى الذين لا

يعترفون بالتربية الإسلامية أن ينظروا إلى هذه الآيات الكريمات نظرة تفهم وعدل وإنصاف ، فإذا كانت فلسفة التربية تدور رحاها على بيان العلاقة بين الإنسان وخالقه وبيان العلاقة بين الإنسان والكون وتوضيح العلاقة بين الحياة والأحياء وإذا كانت تتحدث عن مفهوم التربية والمحتوى التعليمي وخلق الإنسان وأطواره فأهم الوقفات في مجال فلسفة التربية نجدها متضمنة في هذه الآيات وقد أوضحت خلق الإنسان وأوضحت بأن الله عز وجل هو الخالق وهو المربي وهو المعلم وقد اشتملت على القراءة وآلة الكتابة وهذه كما ذكرنا هي من أهم مقومات الحضارة الإنسانية ، فالحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

١٢- وفي أنفسكم أفلا تبصرون :-

الحمد لله خلق الإنسان وأكرمه بالبيانين البيان الخطي وهو رسم الكتابة والبيان اللفظي وهو النطق باللسان أحمده سبحانه أن ضرب الأمثال في القرآن وبين الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة بقوله سبحانه (ومثل كلمه طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون ... ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار) أحمده سبحانه أن جعل الاختلاف في الألسنة من دلائل قدرته وآياته : (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين) ، ورتب الجزاء والعقاب على الأعمال والألفاظ : (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) والصلاة والسلام على الهادي البشير القائل : " والكلمة الطيبة صدقة " ... أما بعد :

فإن الإسلام أرشدنا إلى حفظ اللسان وعدم التكلم إلا بخير وحفظ اللسان هو كفه وضبطه وحبسه إلا في القول الحميد والكلام الطيب . فاللسان أهم جوارح الإنسان نفعاً إذا صلح وأعظمها ضرراً إذا فسد والإنسان إنسان بلسانه وقلبه لا بجسمه وبدنه ولقد وجه النبي صلى الله عليه وسلم أمته من خلال توجيهاته التربوية إلى حفظ اللسان وعدم استعماله في أذية المسلمين والتطاول عليهم وغيبتهم والنيل منهم عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله : أي المسلمين أفضل قال : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويديه " متفق عليه . فللمسلمين حرمة ينبغي المحافظة عليها وعدم النيل منها أو الإساءة عليها بالقول أو الفعل فالمسلم الحقيقي هو الذي يحترمها ويحافظ

عليها ويبتعد عن أذية إخوانه المسلمين بقوله وفعله ولقد أوضح النبي صلى الله عليه وسلم أن الكلمة يتكلم بها العبد قد لا يلقي لها بالاً فتهلكه وترديه وقد يتكلم بالكلمة لا يحسب لها حساباً كبيراً يرفعه الله بها درجات فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى عليه ما يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات . وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم " رواه البخاري .

كما أوضح عليه الصلاة والسلام أن هناك ارتباط بين الإيمان والقول الحسن فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت " متفق عليه .

وعنه أيضاً رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت " وإن المؤمن إذا ضمن أن لسانه لا يلفظ إلا خيراً وأنه يكف عن كل قول قبيح وعف نفسه عن الحرام فقد ضمن له النبي صلى الله عليه وسلم الجنة . فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة " . وهذه الدروس التربوية والتوجيهات المحمدية التي تلقاها الصحابة رضوان الله عليهم أفادوا منها وأفادوا غيرهم فاستقام سلوكهم وصلحت أحوالهم وتهذبت أخلاقهم وألفاظهم وأخذوا يوجهون الناس إلى كل خير فهذا علي رضي الله عنه يقول: " بكثرة الصمت تكون الهيبة " وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : " الكلام كالدواء إن أقللت منه نفع

وإن أكثرت منه قتل " ، ففي هذا إرشاد إلى قلة الكلام إلا فيما هو نافع لأن كثرة الكلام توقع الإنسان في أخطاء وتنزل من قيمته وقدره قال لقمان لولده : يا بني إذا افتخر الناس بحسن كلامهم ، افتخر أنت بحسن صمتك . يقول اللسان : كل صباح وكل مساء للجوارح كيف أنتن ؟ فيقولن : بخير إن تركتنا .

وقال : الحسن رحمه الله اللسان أمير البدن فإذا جنى على الأعضاء شيئاً جنت وإن عفا عفت وقيل : الكلمة أسيرة في وثاق الرجل فإن تكلم بها صار في وثاقها .. ويقول ابن القيم يرحمه الله وهو يوجه إلى حفظ الكلام إن المتكلم ينبغي أن يقارن بين الفائدة من الكلمة والضرر منها فإن كان في الكلمة فائدة متحققة تكلم بها وإن كان فيها ضرر كف عنها وإن تساوى النفع والضرر فالأولى الكف عن الكلام . لو أخذنا بتوجيهات رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجيهات السلف الصالح في حفظ اللسان لاستقامت أحوالنا وتماسك بنيان مجتمعنا لأن غالبية الضرر من اللسان ، فالغيبة والنميمة والنيل من الأعراض كل ذلك من اللسان ، الكذب والبهتان وقول الزور كل ذلك من اللسان ، الكذب والافتراء وكلمة الكفر كل ذلك حصيلة اللسان ، يقول الشاعر :

إذا شئت أن تحيا سليماً من الأذى وحظك موفور وعرضك صين

لسانك لا تذكر به عورة امرئ فكلك عورات وللناس ألسن

وعينك إن أبدت إليك مساوئ فغضها وقل ياعين للناس أعين

وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى وفارق ولكن بالتي هي أحسن

١٣- زين الإنسان في الحلم والأناة :-

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد :

فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أوتي جوامع الكلم فكان يورد المعنى الكثير في العبارة الموجزة ، لأنه يعلّم عامة المسلمين والخاصة منهم بكلام يفهمه الجميع دون تعقيد في الأسلوب أو إيراد لكلمات لا تفهم إلا بعد جهد جهيد فطريقته في المخاطبة هي الطريقة المثلى في كيفية التحدث إلى الآخرين وإيصال المعلومة إليهم . وإننا في أمس الحاجة إلى أن نتعلم من هديه صلى الله عليه وسلم آداب المحادثة وأساليب التعليم لاسيما وأن الناس في تحدثهم ومخاطبتهم للآخرين أصناف شتى وطرقهم في ذلك متنوعة فمنهم من يسرد الكلام سرداً فلا يستطيع السامع أن يستوعب بل يلتقط القليل من المعلومات . ومنهم من لديه معلومات كثيرة وعلوم شتى لكنه يفتقر إلى قوة التعبير وحسن الأسلوب لتوصيل هذه المعلومات وتلك المعارف ، ومنهم من يطيل في التحدث عن الموضوع ويتشعب في الكلام ويشرق ويغرب مع العلم أنه بإمكانه أن يختصر كلامه مع الاحتفاظ بالمعلومة التي يريد إيصالها .

وتجاه هذا التباين وهذا الاختلاف فإننا نستطيع إن نصل إلى الطريقة المثلى لإيراد المعلومة أو الفكرة إلى السامعين ولا نجد ذلك إلا عند المعلم والمربي الأعظم عليه الصلاة والسلام حيث كان كلامه موجزاً وأسلوبه بليغاً . والإيجاز في البلاغة هو تأدية المعنى الجم بالألفاظ القليلة وله قوة في التعبير وامتلاء في اللفظ وشدة في التماسك وهذه صفات

تلازم قوة العقل والروح والشعور ومن هنا فقد أوتي جوامع الكلم في خطبه وأحاديثه صلى الله عليه وسلم .

ولقد أوضحت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها طريقة تحدثه صلى الله عليه وسلم مع الآخرين فقالت : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسرد كسردكم هذا ، كان يتكلم كلاماً فصلاً لو عده العادّ لأحصاه ، وكان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً لتحفظ عنه " صلوات ربي وسلامه عليه .

هذا هو أسلوب المعلم الماهر والمربي المخلص الذي يخاطب جمهور الناس فليس حديثه لطبقة دون طبقة ولا لفئة دون أخرى لأنه مبعوث للناس جميعاً بل للثقلين الإنس والجن : (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً) لذا فقد آتاه الله جوامع الكلم وأمره أن يخاطب الناس على قدر عقولهم فقال صلى الله عليه وسلم : " أمرنا معاشر الأنبياء أن نخاطب الناس على قدر عقولهم " فكان يوجز الحديث ويورده بعبارة واضحة لا لبس فيها ولا غموض . وللإيجاز فوائد أهمها أنه ينمي العقل على التركيز الفعلي لصلب الموضوع دون وجود كلمات صارفة تصرف عن الهدف المنشود .

ولقد كان صلى الله عليه وسلم يتأنى في حديثه ولا يستعجل فيه ، والتأني يعطي المستمع الفرصة الكاملة لاستيعاب الحديث وبذلك ينجح المتحدث في توصيل معلومته للمستمع واستيعابه لها ، ولقد امتدح النبي صلى الله عليه وسلم أشج عبدالقيس بخصلتين وصفتين جميلتين إحداهما الحلم والأخرى الأناة ، فقال صلى الله عليه وسلم له: " إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة " فالأناة هي التروي في جميع الأمور وعدم التعجل فيها ومن ذلك التأني في الحديث، الذي يقيد المتحدث قبل غيره فيعطيه الوقت

الكافي لتسلسل أفكاره وترتيبها ترتيباً صحيحاً مبنياً على أسس علمية وبعبارة واضحة وأسلوب رصين فلا تتداخل الأفكار ولا تتشتت لا في ذهنه ولا في ذهن السامع أيضاً .

ومن فوائد التأني في الحديث أنه يقلل من النسيان الذي يعتري المتحدث في غالب الأمر، وبالذات من يرتجل في كلامه ويتحدث دون أي شيء مكتوب كما أن التأني في الحديث يقلل من التلعثم في الكلام عند المتحدث فيسلك الكلام مسلكاً هادئاً رائقاً واصلاً إلى عقل المخاطب دون عوائق تشتت متابعته للحديث، ومن أهم صفات كلامه صلى الله عليه وسلم أن يفهمه الجاهل والمتعلم على حد سواء فحديثه يخاطب الفطرة السليمة والعقل الصريح بأسلوب فطري غير ذي عوج لا يتوقف فهمه على ذكاء نادر وعلم فائق وألمعية بالغة ودراسة واسعة للعلوم وإحاطة بالمصطلحات العلمية ومعرفة المنطق والفلسفة والرياضيات والفلكيات وعلوم الطبيعة فكلامه يفهمه العوام كما يتذوقه الخواص وينتفع به من لم يؤتوا حظاً واسعاً من العلم كما ينتفع به العلماء كل على قدر فهمه وطاقته ويطابق حال الأمم التي تعيش على فطرتها كما يطابق حال الأمم المتمدنة المثقفة فكلامه كالماء الزلال السلسبيل الذي يستسيغه كل واحد ويحتاج إليه كل إنسان.

وكان صلى الله عليه وسلم يعيد الكلمة التي يتكلم بها ثلاث مرات حتى تحفظ عنه وإعادة الكلمة ثلاثاً لاشك أنها تستقر استقراراً تاماً في فكر ونفس المستمع ولهذا يستطيع الآباء والمعلمون أن يتبعوا أسلوب المصطفى صلى الله عليه وسلم عندما يخاطبون أبناءهم أو من يشرفون على تعليمهم وبالذات إن كانت في أمور هامة ، وإعادة الكلمة ثلاثاً نحن في حاجة ماسة إليها كأسلوب تربوي وتعليمي وذلك لأن المتعلم له شبكة

علاقات مكثفة في مجتمعه فإعادة الكلمة ثلاثاً تجعلها متفردة في فكره ووجدانه ، فحري بالآباء والمربين أن يسلكوا هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في التربية والتعليم فهو الذي اختاره الله عز وجل لتبليغ دينه وتبيين شرعه فأدبه وأحسن تأديبه ووجهه وأحسن توجيهه وهو الذي قال : " إنما بعثت معلماً " فقد نجح في رسالته وفي تربية أمته فأمهر الناس في التربية أعلمهم بسنته فأسلوبه يفهمه الجميع لا تعقيد فيه ولا التواء في معانيه فعلى من أراد أن يكون مربياً ماهراً أن يدرس سيرته ويتأمل هديه في توجيهه وتربيته فعلى المعلم أن يضع في ذهنه هدفاً واضحاً محدداً من حديثه مع المتعلم بحيث يفهم عنه فيوصل المعلومة إلى ذهنه بأقصر الطرق وأوجز العبارة فمتى فهمت عنه استقرت في النفوس واتضحت في الأذهان وأثمرت عملاً إيجابياً إذا نبعت من قلبه وفكره بصدق ، فالكلام النابع من القلب يخاطب القلب ، والكلام الصادر من اللسان لا يجاوز الآذان .

ومما يجعل للمعلم دوراً إيجابياً وهاماً تحليه بالعمل الصادق فلا يقول قولاً إلا ويترجمه واقعاً وسلوكاً في حياته العملية فهذا مما يجعل لكلامه وزناً وثقة فهو يعلم بلسان حاله ومقاله معاً . ولقد ذم الله سبحانه وتعالى الذين يقولون ما لا يفعلون فقال عز من قائل : (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) فأهم هدف يضعه المعلم في ذهنه هو إصلاح هذا الناشئ ويجعله فرداً صالحاً في المجتمع يسعى إلى الخير ويدعو إليه ويحرص على التحلي به ، فهو من أمة وصفها الحق سبحانه وتعالى بصفة الخيرية فقال عز من قائل : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) جعلنا الله هداة مهتدين .

١٤- طول العمر وحسن العمل :-

الحمد لله الكبير المتعال ، صاحب الفضل والمن والعطاء يقبل القليل من العمل ويجزي الكثير من الثواب أحمده حمداً كثيراً وأصلي وأسلم على الرحمة المهداة والنعمة المجزاة ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .. وبعد :

فإن طول العمر في طاعة الله عز وجل مع صحة البدن وسلامة الحواس يعتبر من أهم أسباب السعادة والفرحة الغامرة لذا فقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض الصحابة بطول العمر . فعن عبد الله بن بسر المازني رضي الله عنه قال : وضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على رأسي وقال : سيعيش هذا الغلام قرناً ، قلت كم القرن ؟ قال : مائة سنة ... وعندما نقول الدعاء بطول العمر فإنما المراد تلك البركة التي يضعها الله عز وجل في العمر حيث تنجز الأعمال الكثيرة بنجاح وتوفيق في فترة زمنية قصيرة فتقارن هذه المنجزات بالزمن اليسير الذي أنجزت فيه فترى البركة في ذلك واضحة ... وفي دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا الغلام فوائد منها معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث أخبر أنه سيعيش مائة عام والعمر أمر مغيب لا يعلمه إلا الله وقد أظهر سبحانه بعض الأمور المغيبة لرسوله صلى الله عليه وسلم فأخبر بها ، لأن الإنسان وهو في بطن أمه يأتي الملك إليه فينفخ فيه الروح بإذن الله فيؤمر بكتب عمره وأجله ورزقه وشقي أم سعيد ... كما أن على الآباء والمربين الشفقة والرحمة على الأطفال الناشئين والحرص على ما ينفعهم والدعوة لهم بالتوفيق وحسن السيرة وسلامة الحال والمآل فلعل الله أن ينفعهم بهذا فينال السعادة في الدارين ... عن أم قيس قالت : توفى ابن لي فجزعت وقلت للذي يغسله : لا تغسل ابني بالماء البارد فتقتله فانطلق عكاشة إلى النبي صلى الله

عليه وسلم فأخبره بقولها : فتبسم ثم قال : ما قالت : طال عمرها فيقول راو الحديث ولا نعلم امرأة عُمّرت ما عُمّرت ... فمن أهم ما في الحديث أن المتحدث إذا قال : لمحدثة ما تقول طال عمرك يكون قد دعا دعوة بطول العمر وهذا من أدب المخاطبة وقد ورد في الحديث أن طول العمر مع طاعة الله هي السعادة فخيركم من طال عمره وحسن عمله، وهذا من أعظم البركة حيث يمر الزمن وهو من طاعة إلى طاعة ... وأم قيس رضي الله عنها التي ورد ذكرها في الحديث هي أخت عكاشة بن محصن الأسدية أسلمت بمكة قديماً وبايعت وهاجرت ، وجاءت بابن رضيع فبال على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مكانته العظيمة عند الله فكان يحمل الطفل الصغير ويأكل مع الغلام اليافع ويحسن إلى الضعيف والمسكين ويتصدق على الفقير ، فيحمل هذا الغلام فيبول في حجره عليه الصلاة والسلام . وبول الغلام الذي لم يأكل الطعام يكفي في إزالته النضح بالماء بعكس بول الجارية حيث أنه لابد من غسله لكونه نجساً لا يكفي فيه النضح . عن سنان قال حدثنا أنس رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يدخل علينا أهل البيت فدخل يوماً فدعا لنا فقالت أم سليم : خُويدمك ألا تدعو له ؟ قال : " اللهم أكثر ماله ، وولده ، وأطل حياته واغفر له " . فدعا لي بثلاث فدفنت مائة وثلاثة من ولدي وإن تمرتي لتطعم في السنة مرتين وطالت حياتي حتى استحييت من الناس وأرجو المغفرة . ففي هذا بيان لحرص الرسول صلى الله عليه وسلم على إشاعة الخير في أمته وحبه لأصحابه وكان يتعهدهم بالزيارة والدعاء لهم وقد يخص بعضاً منهم بأنواع من الدعوات تصيبهم بركاتها ويسعدون بها في الدنيا قبل الآخرة ، ففي هذا الحديث دعا لأنس رضي الله عنه بكثرة المال ، وقد وردت في رواية أخرى : " وبارك له فيما

أعطيته " . ولمسلم : ودعا لي بثلاث دعوات قد رأيت منها اثنتين في وأنا أرجو الثالثة في الآخرة . وقوله : ماله . زاد أحمد وذكر أنه كان لا يملك ذهباً ولا فضة غير خاتمه يعني أن ماله كان من غير النقدين وعند أحمد قال : يا ثابت وما أملك صفراء ولا بيضاء إلا خاتمي . ومعنى هذا أن ماله قد تكون ماشية أو حقولاً أو تجارة من غير أن تكون ذهباً ولا فضة . وقوله واطل حياته لفظ ابن سعد : اطل عمره وأغفر ذنبه . وأكثر ما قيل فيه أنه بلغ مائة وسبع سنين وأقل ما قيل فيها تسعاً وتسعين سنة . وقوله فدعا لي وورد أنها كانت هذه الدعوة عقب صلاة نافلة ورفع النبي صلى الله عليه وسلم فيها يديه وفي هذا دليل لمن يرى رفع اليدين في الدعاء في غير ما فريضة ... قوله فدفنت مائة وثلاثة أي من الأبناء ، وكان الطاعون الجارف سنة ٩٦ هجرية هلك به في ثلاثة أيام سبعون ألفاً مات فيه لأنس رضي الله عنه ثمانون ولداً وكان يموت أهل الدار فيطين عليهم الدار ... فكونه يموت له ثمانون فهذا دليل على كثرة ولده الذين بلغوا أكثر من هذا بكثير . وأنس ثالث ثلاثة ممن كانوا يمتازون بكثرة الولد في ذاك العصر . قال ابن قتيبة : كان في البصرة ثلاثة ما ماتوا حتى رأى كل واحد منهم من ولده مائة ذكر لصلبه أبو بكرة وأنس وخليفة بن بدر وزاد غيره رابعاً وهو المهلب بن أبي صفرة . قال مسلم قال أنس رضي الله عنه : فوالله إن مالي لكثير وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون على نحو المائة ففي الصحيح قال أنس رضي الله عنه : أخبرتني ابنتي أمينة أنه دفن من صلبي دون الأسباط والأحفاد إلى يوم مقدم الحجاج البصرة سنة ٧٥هـ مائة وعشرون . إن كثرة موت الأولاد لا ينافي إجابة الدعاء بطلب كثرتهم ولا طلب البركة فيهم لما يحصل من الفرح بولادتهم والأجر بالمصيبة فيهم . فمن أعطي الولد فليحرص على تربيتهم تربية إسلامية ويدعو لهم

بالصلاح ويلاحظ سلوكهم ويوجه ويسدد أقوالهم ويكون فطناً لمن يصاحبون ومع من يسيرون حتى يقر الله عينه بصلاح أحوالهم واستقامة أمورهم فإن اختار الله بعضهم فليصبر وليحتسب :

فما المال والأهلون إلا ودائع فلابد يوماً أن ترد الودائع

فهم ودائع الله عندك أيها الإنسان ومن حق الوديعة المحافظة عليها وإذا استردها صاحبها عليك الرضا وعدم التسخط والتشكي . نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يهبنا ذرية سوية تقية وأن يوفقنا لشكر نعمه إنه ولي ذلك والقادر عليه .

١٥ـ الغاية من تكوين الأسرة :ـ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .. وبعد .

حول نظرة الإسلام إلى هذا الإنسان ، نقول وبالله التوفيق إن توجيهات الإسلام متواصلة لتهيئة المناخ الملائم الذي ينشأ فيه إنسان صالح وأسرة مسلمة ، وقد حرص الإسلام على تكوين الأسرة من أبوين مسلمين دينهما الإسلام وخلقهما مستمد من أخلاق الإسلام العظيمة ، وهدي الإسلام في الرؤية الشرعية وما يترتب عليها من فوائد تقتضي عدم التغالي في المهور والإسراف في تكاليف الزواج ، لقد وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل عند رغبته في إتيان أهله بأن يسمي الله عز وجل ويدعوه في ولد صالح قال صلى الله عليه وسلم : " من أراد من أهله شيئاً فقال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإن كتب بينهما ولد لم يضره الشيطان " .

ما أعظم هذا التوجيه فمن مقاصد النكاح تكوين الشباب الصالحين والفتيات الصالحات فصلاح الذرية لا يحصل إلا إذا حماها الله عز وجل من نزغات الهوى والشيطان فعندما يدعو الرجل في بداية الوقاع بهذا الدعاء وهو موقن بالإجابة فإن الله سبحانه وتعالى لن يجعل للشيطان مدخلاً على هذا الوليد .

هذا التوجيه هو الدرس المفيد الذي نلتمس صلاح ذريتنا بما ورد في هدي النبوة فنكون قد هيئنا المناخ الملائم لتربية أولادنا تربية إسلامية تجعلهم سعداء في الدنيا والآخرة أرجو أن يكون ذلك .. فأوامر الله القدرية سائرة عليه ، أما أوامره الشرعية فبعد خروجه من بطن أمه كما يقول ابن القيم رحمه الله ، فالأم في فترة الحمل هي الوعاء لحفظ هذه الأمانة فلا يجوز لها التعدي عليه بأي شكل من أشكال التعدي ،

فإن فعلت ذلك فهي آثمة وفي غضب الله ، كما أن الإسلام قد ضمن لهذا الجنين جميع حقوقه ، فله الحق في الميراث كبقية الورثة ، وهناك باب في كتاب الفرائض يبين ميراث الحمل ، كما أن الإسلام قد وضع من الضمانات لهذا الحمل فيما لو اعتدى عليه معتد ما يكفل حق أبويه في المطالبة بديته فلو اعتدى عليه شخص بالضرب ومات هذا الجنين فديته غرة عبد أو أمة ، هذا إذا خرج ميتاً ، أما إن خرج حياً ثم مات فديته كدية المسلم الحي إذا قتل .

ما أعظم هذا الدين الذي عرف لهذا الإنسان قدره وأوضح له مكانته بين المخلوقات قال تعالى : (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) ، ومن المؤسف جداً أن يفرط الكثير من الناس في هذا الهدي الإسلامي الذي ذكرناه بل ويزداد الأسف حينما تسمع عن حالات إجهاض يتعمدها بعض الآباء والأمهات فيسعون جاهدين على إسقاط الجنين، لأنهم لا يريدون كثرة الأولاد ومؤونة التربية فما أعظم جرمهم لأنهم قد قاموا بقتل نفس حرمها الله .ينمو هذا الجنين يوماً بعد يوم في بطن أمه حتى يكتمل بناؤه ، قال صلى الله عليه وسلم : " إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أم سعيد " والأم في هذه الفترة تعاني من آلام الحمل ، قال تعالى : (حملته أمه وهن على وهن) إن هذه الآلام وهذه المعاناة قد تسببتا في تكوين عاطفة الأمومة تجاه هذا الوليد المنتظر ، فإذا ولد هذا الجنين وخرج على قيد الحياة فمن السنة أن يؤذن في أذنه اليمنى ويقام في اليسرى لأن في الأذان كلمة

التوحيد التي هي ميثاق الفطرة فتتنبه الفطرة بذلك ، قال صلى الله عليه وسلم : " كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه " ومن السنة تحنيك الطفل ، فقد جيء لرسول الله صلى الله عليه وسلم بغلام وليد فقام بتحنيكه بتمرة لاكها في فمه ثم وضعها في فم الصبي ، فيسن أن يحنك الوليد رجل من أهل الخير والصلاح تفاؤلاً في أن ينشأ نشأة صالحة ، وإذا بلغ هذا الطفل اليوم السابع تذبح عقيقته ويحلق شعره ويماط عنه الأذى ، فعن الغلام شاتان وعن الجارية شاة واحدة، وكيفية توزيع العقيقة أن تقسم ثلاثة أقسام يأكل أهله ثلثاً ويهدون ثلثاً ويتصدقون بثلث ويختار له أبواه اسماً يعرف به في مستقبل حياته وخير الأسماء عبدالله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام ، كما جاء في السنة النبوية ، ثم بعد ذلك يحرص أبواه على تعويده الأخلاق الفاضلة والشيم النبيلة فيعلمانه بلسان الحال قبل لسان المقال ، فلا يرى منهما إلا كل بر وصلاح ولا يسمع إلا الصالح من القول ، فينشأ في هذا الجو الإيماني يتغذى عوده يوماً بعد يوم حتى يستقيم على الإيمان بالله والإذعان لطاعته والبعد عن معاصيه ويحرص الأبوان على تنشئة هذا الوليد النشأة الصالحة مسترشدين بتوجيهات التربية الإسلامية داعين الله عز وجل بقوله سبحانه وتعالى : (ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً) .. اللهم إنا نسألك ذرية صالحة نسعد بها في الدنيا والآخرة .

١٦- التأثير في المجتمع والتأثر به : -

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ..

فإن الإنسان مدني بطبعه لا يعيش بمفرده ولا يقضي حياته في عزلة عن الناس فهو يخالط الناس يؤثر فيهم ويتأثر بهم فإن كان خيراً عاد خيره على أفراد المجتمع وإن كان شريراً اكتوى الناس بشره وتأثروا بسوء معاملته ، ولقد بين النبي صلى الله عليه وسلم الناس شر على الإطلاق ، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه أو ودعه الناس اتقاء شره " متفق عليه . فالناس في الآخرة منازل متفاوتة كما كانت أعمالهم في الدنيا منازل مختلفة ولهم مسالك شتى قال تعالى : (ولكل درجات مما عملوا) فأحسن الناس عملاً أعلاهم درجة وأرفعهم منزلة ، وأسوأهم عملاً أدناهم درجة وأحطهم منزلة ، وبين هذين درجات متفاوتة ومنازل مختلفة بحسب اختلاف الأعمال وتفاوتها ، وفي الحديث بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن شر الناس منزلة يوم القيامة من تركه الناس ووادعوه وفارقوه وسالموه ، لا لأنه لا خير فيه ولا منفعة ترجى من ورائه بل لاتقاء شره والابتعاد عن ضره وبغية فهم لا يأمنون إذ كاشفوه بحاله أو نصحوه ليرعوي عن ظلمه أو جالسوه وخالطوه أو قابلوا سيئته بالسيئة لا يأمنون أن يرميهم بالمقذعات ويدبر لهم المكيدات ليلحق بهم الضرر في نفوسهم أو أعراضهم أو أموالهم أو مراكزهم أو مناصبهم فهو أفاك أثيم مجرم شرير ، ولهذا الحديث سبب روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن

رجلاً استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال : بئس أخو العشيرة ، وبئس ابن العشيرة ، فلما جلس انبسط له رسول الله صلى الله عليه وسلم قابله بطلاقة وجه فلما انطلق قالت له عائشة : يا رسول الله ، حين رأيت الرجل قلت كذا وكذا ، ثم انبسطت إليه وقابلته بطلاقة وجه ؟ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا عائشة متى عهدتني فاحشاً ؟ إن شر الناس منزلة من تركه الناس اتقاء شره " وقد قيل إن هذا الرجل هو مخرمة بن نوفل وقيل عيينة بن حصن الفزاري وكان يسمى بالأحمق المطاع لأنه رئيس قوم وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتألفه ليسلم قومه فقد أسلم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وارتد في خلافة أبي بكر رضي الله عنه وحارب ثم رجع إلى الإسلام وحضر بعض الفتوح في عهد عمر رضي الله عنه وهو الذي استأذن له ابن أخيه الحر بن قيس في الدخول على عمر رضي الله عنه فلما دخل قال يا ابن الخطاب والله ما تعطينا الجزل وما تحكم بيننا بالعدل ، حتى همّ بأن يقع به ، فقال الحر : يا أمير المؤمنين إن الله قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : (خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين) وإن هذا من الجاهلين فوالله ما جاوزها عمر رضي الله عنه حين تلاها عليه وكان وقافاً عند كتاب الله .. نعم هكذا تربوا في مدرسة محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم فكانوا ملتزمين بكتاب الله ممتثلين لأوامره يحكمونه في كل صغيرة وكبيرة في حياتهم . وإن هذا الرجل الذي كان يتقى شره قد أساء الأدب مع عمر رضي الله عنه وهذا يوضح بلسان الحال صدق ما قاله فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول فيه : " بئس أخو العشيرة وابن العشيرة " ثم يهش في وجهه وينبسط له حينما جلس معه ، وهل هذا إلا التظاهر بغير ما يضمر ؟ فكيف يصدر هذا من الرسول الكريم

صلى الله عليه وسلم الذي شهد له رب العالمين بأنه على خلق عظيم ؟ .. ولقد أجيب عن هذا بأنه من باب النصيحة للأمة والتحذير لها من أن تغتر بذوي المظاهر الجميلة أرباب الطوايا الخبيثة فتقع في شراكهم ويصيبهم شر من جهتهم ، بل استدل بهذا على جواز غيبة من أعلن الفسق أو الفحش أو جار في الحكم أو دعا إلى بدعة ، أما انبساط الرسول صلى الله عليه وسلم له بعد ذمه له فهو من باب المداراة وليس من قبيل المداهنة في الدين التي هي من مساوئ الأخلاق ، والفرق بين المداراة والمداهنة أن المداراة بذل الدنيا لصالح الدنيا أو الدين أو هما معاً وهي مباحة وربما استحبت ، والمداهنة ترك الدين لصلاح الدنيا ، والنبي صلى الله عليه وسلم إنما بذل له من دنياه حسن عشرته والرفق في مكالمته في الحديث ومع ذلك فلم يمدحه بقول يناقض قوله فيه فعله ، فإن قوله فيه قول حق وفعله معه حسن عشرة فيزول بهذا الإشكال وهكذا يكون الجواب على هذا الموقف . فالرسول صلى الله عليه وسلم قد أدبه ربه واصطفاه لرسالته واختاره لتبليغ دينه فهو في القمة من الأخلاق في الذروة من الشيم والخلال ، لقد كان خلقه القرآن فصلوات ربي وسلامه عليه .

والرسول صلى الله عليه وسلم قد عرف حالة كل واحد ونفسيته فكان يضع لهم تصنيفاً يوضح حالهم وهذا حال المربي الماهر والحكيم وحاشا أن يظهر من الأقوال والأفعال ما يخالف ما في نفسه . إن هذا الرجل الذي وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه شر الناس منزلة بسبب ما يلحقه بالناس من أذى وفتنة وشر ومأثم هو نموذج يتكرر مثله في كل عصر ومصر ولكن سرعان ما ينكشف أمره لذوي الحجى والعقول فيبتعد عنه القاصي والداني خوفاً من شروره وآثامه . ولقد لاحظنا من أمثال هذا من يتظاهر

بالمودة والمحبة ولكن نفسه قد انطوت على الخبث واللؤم فنجده يلقاك ويتظاهر لك بأنه هو الصديق الحميم والمحب الوفي ولكنه في الحقيقة يطعنك بخنجر مسموم ويجعل عرضك وشرفك هدفاً ينال منه . فليعلم هذا ومن هو على شاكلته بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه أو ودعه الناس اتقاء شره " فعلى المعلم أن يكون محباً للمسلمين لا كارهاً لهم وأن يكون معهم لا ضدهم سلماً لمن سالمهم حرباً على عدوهم ، وعليه أن يدع شر الأعمال ليسلم من شر المنازل عند الديان ، ويعلم أن الله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء من أمره ولا تغيب عنه شاردة من عمل عبده يعلم سبحانه خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وأنه سبحانه هو القوي المتين ، فقوته فوق كل قوة وبطشه شديد ، فلا تغتر أيها المسلم بقوتك ولا ترعب الناس بسطوتك فيأخذك القهار أخذ عزيز مقتدر يوم يؤخذ بالنواصي والأقدام ، إن تذكرت ذلك كنت محاسباً لنفسك عارفاً لقدرها كابحاً لجماحها " فالكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت " وإلا فأنت العاجز الذليل الجبان الذي غلبته نفسه وتركها لهواها وسارت به إلى المهالك " والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني " .

وفقنا الله وإياكم إلى الخيرات وأبعدنا عن المآثم والسيئات وجعلنا وإياكم ممن يستمع القول ويتبع أحسنه .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين .

الباحث

د . حسن بن علي الحجاجي

من مدينة الطائف المأنوس

المملكة العربية السعودية

الفهـــــــرس

رقم	الموضوع	رقم الصفحة
١	المقدمة	٢
٢	غاية خلق الإنسان	٣
٣	معرفة العبد لربه	٧
٤	الفطرة والتربية	١١
٥	التوازن بين عناصر تكوين الإنسان	١٥
٦	بم يكون بناء الإنسان	١٩
٧	الناس أنواع وأجناس	٢٣
٨	بين الخير والشر والمحبوب والمكروه	٢٧
٩	جمال الباطن والظاهر	٣١
١٠	الغرائز والسلوك	٣٤
١١	الإنسان ووسائل كسب العلم والمعرفة	٣٨
١٢	سبحان من زود الإنسان بوسائل كسب العلم والمعرفة	٤٢
١٣	وفي أنفسكم أفلا تبصرون	٤٦
١٤	زين الإنسان في الحلم والأناة	٤٩
١٥	طول العمر وحسن العمل	٥٣
١٦	الغاية من تكوين الأسرة	٥٧
١٧	التأثير في المجتمع والتأثر به	٦٠